



سلطنة عمان

وزارة التعليم العالي

كلية العلوم الشرعية

بحث تخرج بعنوان:

الجوانب التي راعاها لقمان في تربية ابنه وأثرها

على السلوكيات

(دراسة تحليلية لقصة لقمان في القرآن الحكيم)

إعداد الطالب: منذر بن خميس بن مشيمل الشعيبي

إشراف: د. أحمد لقم

العام الجامعي: ١٤٣٥ هـ - ١٤٣٦ م

عنوان البحث: الجوانب التي راعاها لقمان في تربية ابنه وأثرها على السلوكيات (دراسة تحليلية لقصة لقمان في القرآن الحكيم)

اسم الباحث: منذر بن خميس بن مشيمل الشعبي

اسم المشرف: د. أحمد لقم

اسم المناقش: د. لؤي قبيصي

أسباب اختيار البحث وأهميته:

- 1-** قصة وصايا لقمان لابنه من القصص القرآنية التي أمرنا بأخذ الدروس والعبر منها، وذكر الله لها في القرآن يدل على أهميتها البالغة.
- 2-** مادة البحث تشمل جوانب تربوية تتعلق بترسيخ العقيدة السليمة والمحافظة على العبادات والتخلق بالأخلاق الفاضلة.
- 3-** وصايا لقمان لها أثر عظيم في إصلاح قلوب أفراد المجتمع وسلوكياتهم.
- 4-** تتسم وصايا لقمان بالإيجاز والشمولية.
- 5-** في قصة لقمان مع ابنه بعض الأساليب التي يحتاجها الوعاظ.

خطة البحث:

قسمت البحث على خمسة فصول، كل فصل منها يحتوي على مباحث ومطالب، إلا الفصلين الأول والثاني فإنهما يحتويان على مباحث دون مطالب.

تناول الفصل الأول ترجمة لقمان، وكان الكلام فيه عن نسبه والخلاف في كونه نبيا وذكر حكم أثرت عنه في غير القرآن مقسما على ثلاثة مباحث، وأما الفصل الثاني فيتناول مفهوم الموعظة وأثرها على الأفراد ومواقع ذكرها في القرآن والسنة، مقسما على ثلاثة مباحث، وأما الفصل

الثالث فيناقش جانب العقيدة في مواعظ لقمان لابنه وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية مقسما على مبحثين لكل منهما ثلاثة مطالب، وأما الفصل الرابع فيتناول جانب العبادات في مواعظ لقمان لابنه وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية مقسما على ثلاثة مباحث لكل منها ثلاثة مطالب، وأما الفصل الخامس فيناقش جانب الأخلاق في مواعظ لقمان لابنه وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية مقسما على مبحثين لكل منهما ثلاثة مطالب. وبعد هذه الفصول تأتي الخاتمة ثم قائمة المصادر والمراجع ثم الفهرس.

نتائج البحث:

- 1- لم يتفق المؤرخون والنسابة وبقية العلماء على نسب لقمان، ولكن أكثرهم يعتمد النسب الذي ذكره ابن إسحاق.
- 2- يرى جمهور العلماء أن لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا لعدم توفر الأدلة الصحيحة فضلا عن القاطعة بنبوته، ويرى الباحث أن الأولى الوقوف عن الخوض في شأن نبوة لقمان.
- 3- أثرت عن لقمان ونُسبت إليه حكم كثيرة في غير القرآن تناقلتها الأجيال عبر آلاف السنين، وهي حكم مفيدة تمت ترجمتها من لغات إلى لغات إلى أن وصل إلينا بعضها، وعدد منها مشكوك في نسبته إليه.
- 4- جاء ذكر الموعظة في مواضع متفرقة من القرآن، ووعظ الله عباده وأمر الأنبياء بوعظ أقوامهم وأخبرنا بأنهم وعظوا أقوامهم.
- 5- الموعظة لها أثر كبير على قلب الإنسان وفكره وأعماله وأقواله وسائر أحواله لا سيما إذا انتهج الواعظ أسلوبا مناسبا في الوعظ.
- 6- اختار لقمان جانبين من جوانب العقيدة ليغرسهما في ابنه، وهما: التوحيد ومراقبة الله، وهذان الجانبان هما الركنان الأعظمان لكل جوانب العقيدة وبهما يشق الإنسان طريق النجاة والنجاح لما لهما من آثار مرضية.

7- اختار لقمان ثلاثة جوانب في العبادة وهي: إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، وهي التي تضمن صلاح الأفراد والمجتمعات وتدعم ترابط المجتمع وتعاونه على الخير وتحطم قوى الشر وتضعفها وتجعل الإنسان صامدا أمام التيارات الجارفة، وهذه الثلاث هي التي تحافظ على إيمان الشخص وتبث فيه قوة الثبات على الدين والمبادئ.

8- اختار لقمان في جانب الأخلاق التنفير عن تصغير الخد والمشي في الأرض مرحا، وهما صورتان من صور الكبر، ودعا ابنه إلى القصد في المشي وغيض الصوت وهما صورتان من صور التواضع والوقار والسكينة ولين الجانب، فما نهاه عنه ينتج عنه التخاصم والتباغض والتدابير والتنازع والتشاجر والتناحر، وما دعاه إليه ينتج عنه الأمن والسلام والمحبة والوئام والاحترام والانسجام.

9- يرى الباحث أن مواعظ لقمان لابنه التي كان يهدف منها إلى تربيته يجب الاهتمام بها ودراستها وتدريسها وتطبيقها وتنشئة الأبناء منذ الصغر عليها؛ إذ هذه المواعظ هي التي تُخرج لنا مجتمعا تقيا نقيًا زكيا راضيا قويا.

10- استخدم لقمان أسلوب التعليل والتفسير بعد أوامره ونواهيه لابنه، فحين نهاه عن الشرك علل نهيه قائلا: إن الشرك لظلم عظيم، وحين كلمه عن مراقبة الله وضح له بقوله: إن الله لطيف خبير، وحين أمره بإقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال له: إن ذلك من عزم الأمور، وحين نهاه عن تصغير الخد والمشي مرحا بيّن له سبب النهي قائلا: إن الله لا يحب كل مختال فخور، وحين أمره بغض الصوت بيّن له أن أنكر الأصوات لصوت الحمير. وهكذا ينبغي أن يكون المربي، لا يكتفي بالأوامر والنواهي وإنما يعلل أسبابها وحكمتها، فذلك أدعى إلى تقبل السامع وطاعته وإياه والعمل بما دعاه إليه والثبات عليه والانتهاز عما نهاه عنه والهروب منه.

11- جميع مواعظ لقمان لابنه مما هو في العقيدة والعبادات والأخلاق نزلت به جميع الشرائع السماوية.

المقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْخَبِيرِ الْعَلِيمِ، الْمُبِينِ الْحَكِيمِ، الْمَحِيطِ بِالذَّقَاتِ وَالْحَقَائِقِ، الْمُنْعِمِ بِسَوَابِقِ النِّعَمِ وَاللَّوَابِقِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَحْكَمِ الْحُكَمَاءِ الَّذِي دِلَالَتُ وَإِشَارَاتُ وَمَعَانِي الْحِكْمَةِ بِهِ لَوَاصِقٌ، وَأَفْعَالُهُ وَأَقْوَالُهُ بِهَا نَوَاطِقُ، سَيَدُنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ حَامِلِي أَلْوِيَةِ الدِّينِ الْبَوَارِقِ، وَعَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مُتَّبِعٍ لَهُمْ وَصَادِقٍ، إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ عَلَى كُلِّ مِثْقَالٍ وَدَانِقٍ. أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ وَأَجَلِّ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيَّ بَعْضِ عِبَادِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وَإِنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْحِكْمَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ اسْمُهُ لُقْمَانُ، وَقَدْ تَجَلَّتْ آثَارُ حِكْمَتِهِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ، وَلَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ هَذَا الْحَكِيمِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بَلْ سُمِّيَتْ سُورَةٌ بِاسْمِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِ وَمَنْزِلَةِ هَذَا الرَّجُلِ.

وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا خَبَرَ مَوَاعِظِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَ يَسْبِكُهَا لِابْنِهِ، وَلَمْ يَقْصَصْهَا عَلَيْنَا عَبَثًا أَوْ تَسْلِيَةً وَلَكِنْ لِنَتَعَلَّمَ وَنَسْتَفِيدَ مِنْهَا، وَنَسْتَلْهَمَ الدُّرُوسَ وَالْعِبَرَةَ الَّتِي فِيهَا وَنُطَبِّقَهَا فِي حَيَاتِنَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وَقَالَ: ﴿فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وَإِنَّ قِصَّةَ لُقْمَانَ مَعَ ابْنِهِ لَجَدِيرَةٌ بِأَنْ تُدْرَسَ وَيُعْتَنَى بِهَا وَيُتَأَمَّلَ فِيهَا وَيُعْمَلَ بِتَوْجِيهَاتِهَا؛ فَهِيَ مِنْهَا لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ نَيْلَ رِضَا اللَّهِ، وَكُلِّ مَنْ أَرَادَ تَرْبِيَةَ أَبْنَائِهِ تَرْبِيَةً صَالِحَةً، وَلَوْ تَمَسَّكَ الْأَفْرَادُ بِهَذِهِ الْمَوَاعِظِ وَعَمَلُوا بِهَا لَتَكُونُوا لَنَا مَجْتَمَعٌ مَلِيءٌ بِالتَّقْوَى وَالصَّلَاحِ وَالْإِيمَانِ وَالْفَضَائِلِ وَالْخَيْرِ وَبِهَذَا سَيَكُونُ مَجْتَمَعًا قَوِيًّا مَتَمَّاسًا مُنْتِجًا، وَلَا شَكَّ أَنَّ قُوَّةَ الْبَاطِلِ وَالشَّرِّ وَالْفُسَادِ وَالرَّذَائِلِ فِيهِ سَتُضْعَفُ وَتَذْبُلُ.

كيف لا ومواعظ لقمان لابنه تعالج عقيدة الإنسان وعباداته وأخلاقه؟! فقد جاءت لتصلح حال الإنسان في سره وعلائحته، بينه وبين الله وبين الناس.

ولقد قسمت البحث إلى فصول تدرج تحتها مباحث تحتوي على مطالب، واعتمدت اللغة السهلة البسيطة، وحاولت التوسط في الطرح مبتعدا عن التطويل المُمِل أو الإيجاز المُخِل، وحاولت التركيز على الأمور الأهم، وتركت ما لا حاجة مُلِحَّة لذكره، واعتمدت كثيرا على الاستنباط الذاتي والتحليل، واستشهدت بالآيات القرآنية وحرصت في جانب الأحاديث النبوية على الاكتفاء بإيراد الحديث الصحيح أو الحسن فقط، وجعلت مسند الربيع والكتب الستة مرجعي وملاذي، ولم أورد حديثا من غيرها إلا لضرورة، كما أنني رجعت إلى قواميس ومعاجم اللغة عند الحاجة، ومَخَرْتُ عباب كتب التفسير وأخذت منها بُغيتي، ومررت ببعض كتب السيرة والتراجم والتأريخ وغيرها لأنشر من غيرها على هذا البحث.

وبحثت عن الدراسات السابقة للموضوع فوجدت عددا من العناوين، منها ما استطعت الوصول إليه ومنها ما لم أستطع إليها سبيلا، وهي:

- 1- تبصير القلب السليم بوصايا لقمان الحكيم لعبد الجليل أحمد علي، طبعة دار الإيمان.
- 2- وصية لقمان لعبد المجيد الشاذلي، طبعة دار الكلمة للنشر والتوزيع.
- 3- وصايا لقمان في الأثر والقرآن لمحمد محمود عبد الله، طبعة دار الكتاب الثقافي.
- 4- عجائب وأسرار داوود وسليمان وحكم لقمان في القرآن الكريم لعادل حامد، طبعة دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري
- 5- بحث تخرج بعنوان: وصايا لقمان لابنه في القرآن الكريم [دراسة تربوية] لأحمد بن سعيد الهاشمي
- 6- معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لعبد الرحمن الأنصاري.
- 7- الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان الحكيم لمصطفى إبراهيم المشني
- 8- مواعظ لقمان لسعيد بن محمد آل ثابت
- 9- وصية لقمان فوائد وعبر لياسر برهامي
- 10- فقه دعوة الأبناء في ضوء وصايا لقمان للجوهرة بنت صالح الطريفي

11- قصة وصايا لقمان لابنه لمصطفى العدوي

12- فوائد مستنبطة من قصة لقمان الحكيم لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

فالعناوين الخمسة الأولى استطعت الوصول إليها، وما بعدها فلم أجد أيًا منها، أما تلك الخمسة التي وجدتتها فإن منهجيتي تخالفها من زوايا مختلفة، كما أنني أوردت في بحثي هذا الكثير من الشواهد القرآنية والحديثية المدعمة لموضوع الموعظة وجئت بكلام المفسرين وتتبع الكثير من حكم لقمان في غير القرآن والأمر الأهم هو أنني ركزت على أثر هذه المواعظ على سلوكيات الإنسان القلبية والفعلية والقولية، ولا أعرف أحدا سبقني إلى جمع كل هذا في بحث واحد. ومن أهم الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد البحث هو أنني كنت أعاني من أمراض أسهمت كثيرا في قطعي عن إكمال البحث ومنعي من إنجازه في وقت قصير وشكلت لي عائقا كبيرا، كما أنني لم أستطع الوصول إلى عدد من المصادر والمراجع التي أحتاجها لإعداد هذا البحث، ولكن تعاملت مع هذه المشكلة واكتفيت بالمتوفر والحمد لله.

وأود التنبيه أنه قد يتكرر ذكر مصدر من المصادر أو مرجع من المراجع في الحواشي ولكن بطبعة مختلفة، وذلك بسبب أنني نقلت من طبعة معينة وأنا في مسقط مثلا، فلم تتوفر لدي حين احتجتها مرة أخرى وأنا في جعلان، ولم أستطع الوصول إليها فاضررت إلى النقل من طبعة أخرى.

وثمة رموز في حواشي البحث، فالرمز (ط) يعني الطبعة، مثاله: ط1، والرمز (ت) يعني تأريخ الوفاة، مثاله: (ت505هـ)، والرمز (م) يعني المجلد، مثاله: م5.

الفصل الأول: التعريف بشخصية لقمان

في هذا الفصل سأتكلم عن بعض الجوانب المتعلقة بشخصية لقمان، وستكون في ثلاثة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: نسب لقمان

المبحث الثاني: ذكر المخلاف في كون لقمان نبياً أو غير ذلك

المبحث الثالث: حكم أثرت عنه في غير القرآن

المبحث الأول: نسب لقمان

سأتكلم في هذا المبحث عن نسب لقمان، وسأذكر بعض أقوال أهل التاريخ في نسبه.

اختلف المؤرخون في نسب لقمان، فقال السهيلي: [هو لقمان بن عنقاء بن سرون]¹، ونقل جماعة من المفسرين عن ابن إسحاق منهم القرطبي قوله: [هو لقمان بن باعوراء]² بن ناحور³ بن تارح⁴، وهو آزر أبو إبراهيم]⁵، وهو ابن أخت أيوب أو ابن خالته⁶، ونقل البغوي عن ابن إسحاق اسم [ناعور]⁷ بدل [باعوراء] في سلسلة نسب لقمان، ووجدته في أكثر من طبعة لكتابه، وأظن أن ذلك تصحيف غير مقصود، إما في نسخة الكتاب الذي نقل منه البغوي قول ابن إسحاق، وإما في نسخة تفسير البغوي، وإما عند من حقق المخطوطة وجعلها في مطبوع، والأول أقوى احتمالاً، ولقد وجدت أن أكثر من نقلوا عن ابن إسحاق يكتبون [لقمان بن باعوراء] إلا البغوي، والله أعلم بالصواب.

قال ابن عاشور: [وأكثر الروايات في شأنه التي يعضد بعضها وإن كانت أسانيدها ضعيفة تقتضي أنه كان من السود، فقليل: هو من بلاد النوبة، وقيل: من الحبشة]⁸.

⁽¹⁾ عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت: 508هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م، ج4، ص40.

⁽²⁾ وبعضهم يكتبها [باعور] وآخرون يكتبونها [باعورا].

⁽³⁾ بعضهم يكتبها بالباء: [باحور].

⁽⁴⁾ بعضهم يكتبها بالخاء المعجمة: [تارخ].

⁽⁵⁾ محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ/ 2003م، ج14، ص58.

⁽⁶⁾ محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، ص372.

⁽⁷⁾ الحسين بن مسعود البغوي (ت: 516هـ)، معالم التنزيل، دار ابن حزم، ط2، 1435هـ/ 2014م، ص1012.

⁽⁸⁾ محمد الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م، ج21، ص148-149.

وقال: [ويعرف ذلك بلقمان صاحب النور، وهو الذي له ابن اسمه لقيم، وبعضهم ذكر أن اسم أبيه باعوراء، فسبق إلى أوهام بعض المؤلفين أنه المسمى في كتب اليهود بلعام بن باعوراء المذكور خبره في الإصحاحين (22 و 23) من (سفر العدد) ، ولعل ذلك وهم؛ لأن بلعام ذلك رجل من أهل مدين، كان نبياً في زمن موسى - عليه السلام -، فلعل التوهم جاء من اتحاد اسم الأب، أو من ظن أن بلعام يرادف معنى لقمان لأن بلعام من البلع ولقمان من اللقم فيكون العرب سموه بما يرادف اسمه في العبرانية]¹.

المبحث الثاني: ذكر الخلاف في كون لقمان نبياً أو غير ذلك

سأتكلم في هذا المبحث عن الخلاف في لقمان هل كان نبياً أو لم يكن كذلك، وسأذكر بعض أقوال العلماء في ذلك.

اختلف المؤرخون وعلى أثرهم اختلف المفسرون في لقمان هل كان نبياً أو لم يكن كذلك، فقال الواقدي: [كان قاضياً في بني إسرائيل]²، وتابعه على ذلك جمع من العلماء، إلا أن ابن عاشور قال: [ولا يوجد ذكر ذلك في كتب الإسرائيليين]³، وقال عكرمة والشعبي: [كان نبياً]⁴، وقال بقولهما عدد من العلماء، وقال سعيد بن المسيب: [كان لقمان أسود من سودان مصر، ذا مشافر، أعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة]⁵، والجمهور على أنه كان حكيماً فقط.

قال ابن عاشور: [ويظهر من الآيات المذكورة في قصته هذه أنه لم يكن نبياً؛ لأنه لم يمتن

⁽¹⁾ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 149

⁽²⁾ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص 58

⁽³⁾ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 150

⁽⁴⁾ (ابن عجيبة) أحمد بن محمد الفاسي (ت: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1423 هـ/ 2002 م، ج 5، ص 551

⁽⁵⁾ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص 58

عليه بوحى ولا بكلام الملائكة، والاقتصار على أنه أوتي الحكمة يومئ إلى أنه ألهم الحكمة ونطق بها، ولأنه لما ذكر تعليمه لابنه قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ [لقمان: ١٣] وذلك مؤذن بأنه تعليم لا تبليغ [تشرية]¹، وكلامه هذا يناقش من عدة وجوه:

- الآيات لم تتعرض لكونه نبيا أو غير نبي، وإنما تكلمت عن إيتائه الحكمة وذكرت بعض مواظله التي كان يعظ بها ابنه.
- لا يوجد دليل لا من كتاب ولا من سنة ثابتة على أنه لم يمتن عليه بوحى ولا بكلام الملائكة؛ فهذا الأمر مسكوت عنه، وأما الحديث الذي يورده بعض المفسرين عن ابن عمر أنه سمع النبي - - يقول: «حقا لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا صمصامة كثير التفكير حسن الظن، أحب الله فأحبه وضمن عليه بالحكمة...»² ففي إسناده نوفل بن سليمان الهنائي، قال ابن حجر عنه: [ضعفه الدارقطني، وقال ابن أمية: روى بأحاديث غير محفوظة ويشبه أن يكون ضعيفا. قال ابن أبي حاتم في العلل: سألت أبي عن حديث محمد بن أمية البلوي عن نوفل بن سليمان... فقال أبي: هذا موضوع بهذا الإسناد، ونوفل ضعيف الحديث]³، أما متنه فلا يخلو من علة، وكفى بالضعف الذي في سنده مانعا من الاحتجاج به عن العلل التي في متنه.
- الحكمة التي أعطاها لقمان لا تتعارض مع النبوة، بل هي من لوازم النبوة، فلا يتصور أن يبعث نبي غير حكيم، ولكن قد يوجد حكيم ليس نبيا.
- قوله: [...] ولأنه لما ذكر تعليمه لابنه قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ وذلك مؤذن بأنه تعليم لا تبليغ [تشرية] لا نسلم به؛ فقد كان الأنبياء يعلمون أقوامهم ويعظونهم بكلام منه ما

⁽¹⁾ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21 ص 149

⁽²⁾ (المتقي الهندي) علي بن حسام الدين البرهانفوري (ت: 975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م، باب في فضائل من ليسوا من الصحابة وذكرهم، رقم الحديث: 37865.

⁽³⁾ (ابن حجر) أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ)، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1406هـ -1986م، رقم الترجمة: 619.

هو تشريع ومنه ما ليس بتشريع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَحْدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، وقال: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَظُّهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، وقال حكاية عن قوم هود: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [١٣٦]، إِنَّ هَذَا الْإِخْلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٨]، وليس ثمة دليل يوحى بأنه لم يكن تشريعاً، ثم إن معظم المواعظ التي جاءت بها الآيات على لسانه هو مما اتفقت عليه كل الشرائع؛ لأنها من باب العقائد والأخلاق التي لا تنسخ، وأما ما جاء فيها من العبادات فهو أيضاً مما اتفقت عليه الشرائع جملة من إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، وسيأتي تفصيل ذلك في الصفحات القادمة. وقال بعض العلماء في تعريف النبي أنه: هو الذي بعث بشرع الرسول الذي قبله، وعلى هذا التعريف لا يستبعد عن لقمان أن يكون نبياً.

● نقل هو نفسه بعد كلامه الماضي قول عكرمة والشعبي قائلًا: [وذهب عكرمة والشعبي أن لقمان نبي]، وأردف قائلًا: [ولفظ الحكمة يسمح بهذا القول لأن الحكمة أطلقت على النبوة في كثير من القرآن كقوله في داود: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، وقد فسرت الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] بما يشمل النبوة، وأن الحكمة: معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه، وأعلها النبوة لأنها علم بالحقائق مأمون من أن يكون مخالفاً لما هي عليه في نفس الأمر، إذ النبوة متلقاة من الله الذي لا يعزب عن علمه شيء...¹، والأولى لنا الاكتفاء بوصفه بالحكمة والإحجام عن القول بأنه نبي لعدم توفر أدلة قاطعة على ذلك.

وفي ختام كلامي عن هذا الخلاف أود التنبيه على الأمور الآتية:

○ أورد عدد من المفسرين في كتبهم كلاماً مفاده أن [لقمان خير بين النبوة والحكمة

⁽¹⁾ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 150

فاختار الحكمة]، وهذا الكلام لا صحة له ولا أصل، ولا مستند له سوى الروايات الإسرائيلية التي ملئت بالتلفيق والتحريفات. قال ابن المُنِير الإسكندري معلقاً على ذلك الكلام: [وفي هذا بُعِدَ بَيِّن، وذلك أن الحكمة داخله في النبوة وقطرة من بحرهما، وأعلى درجات الحكماء تنحط عن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره، وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من النبوة]¹.

- قول الواقدي أن لقمان كان قاضياً في بني إسرائيل - مع افتقاره للدليل - لا يتعارض مع كون لقمان نبياً؛ لأن نبي أي قوم هو قاضيهما الأعلى، وفي المقابل لا يشترط للقاضي أن يكون نبياً؛ فقد ملئت الدنيا عبر العصور بقضاة ليسوا أنبياء.
- ذكر بعض أهل التفسير رواية مفادها أن لقمان تتلمذ لألف نبي وتعلم له ألف نبي، وبالرغم مما عرف من طول أعمار الأقبام السابقين إلا أنه لا يستبعد أن تكون هذه من جملة الأكاذيب والمبالغات في الروايات الإسرائيلية، كيف لا تكون مبالغة وكذبا وهي تقتضي أنه عاصر ألفي نبي، اللهم إلا أن يقال أنه ارتحل إلى بلدان الأنبياء الذين تعلم منهم، وقصده بعض الأنبياء الذين تعلموا منه، فحينها قد يكون معقولا عند بعض الناس.
- ذكر بعضهم أن نبي الله داود تتلمذ على يد لقمان ولا دليل على صحة ذلك، لكن قد يحدث ذلك كما حدث لسيدنا موسى مع الرجل الصالح الذي قص الله خبره في سورة الكهف.

⁽¹⁾ (ابن المُنِير) أحمد بن محمد الإسكندري (ت: 683هـ)، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، حاشية في كتاب الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت.

المبحث الثالث: حكم أثرت عنه في غير القرآن

ثمة الكثير من الحكم المأثورة عن لقمان في غير القرآن، وهي مبثوثة في كتب مختلفة العناوين والمجالات، وفي هذا المبحث سأذكر عددا منها.

ذكر الألوسي في تفسيره منها ثمانياً وعشرين حكمة وهي:

- [أي بني، إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها أناس كثير؛ فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل على الله تعالى، لعلك أن تنجو ولا أراك ناجياً.]
- من كان له من نفسه واعظ كان له من الله عز وجل حافظ، ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله تعالى بذلك عزاً، والذل في طاعة الله تعالى أقرب من التعزز بالمعصية.
- صرّب الوالد لولده كالسماد للزرع.
- يا بني، إياك والدين فإنه ذل النهار وهم الليل.
- يا بني، ارج الله عز وجل رجاء لا يجرك على معصيته تعالى، وخف الله سبحانه خوفاً لا يؤيسك من رحمته تعالى شأنه.
- من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.
- يا بني، حملت الجندل والحديد وكل شيء ثقیل، فلم أحمل شيئاً هو أثقل من جار السوء، وذقت المرار فلم أذق شيئاً هو أمر من الفقر.
- يا بني، لا ترسل رسولك جاهلاً، فإن لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك.
- يا بني، إياك والكذب؛ فإنه شهى كلحم العصفور عما قليل يغلي صاحبه.
- يا بني، احضر الجنائز ولا تحضر العرس؛ فإن الجنائز تذكر الآخرة والعرس يشهيك الدنيا.
- يا بني، لا تأكل شبعاً على شبع فإن إلقاءك إياه للكلب خير من أن تأكله.

- يا بني، لا تكن حلوا فتبلع ولا تكن مرا فتلفظ.
- لا يأكل طعامك إلاّ الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.
- لا خير لك في أن تتعلم ما لم تعلم ولما تعمل بما قد علمت؛ فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فحمل حزمة وذهب يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى.
- يا بني، إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره.
- لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء.
- يا بني، أنزل نفسك من صاحبك منزلة من لا حاجة له بك ولا بد لك منه.
- يا بني، كن كمن لا يتبغي محمداً الناس ولا يكسب ذمهم، فنفسه منه في عناء والناس منه في راحة.
- يا بني، امتنع بما يخرج من فيك فإنك ما سكت سالم، وإنما ينبغي لك من القول ما ينفعك¹.
- يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله يحيي القلوب بنور العلم كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء².
- لا تري الناس أنك تخشى ليكرموك وقلبك فاجر³.
- إن مثل أهل الذكر والغفلة كمثّل النور والظلمة⁴.
- قيل للقمان: ما بلغ بك ما نرى؟ يريدون الفضل، فقال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك

⁽¹⁾ (أبو الثناء) محمود الألوسي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 11، ص 83.

⁽²⁾ مالك بن أنس الأصبحي (ت: 179هـ)، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، كتاب العلم، باب ما جاء في طلب العلم، رقم الحديث: 1821.

⁽³⁾ (أبو حامد) محمد بن محمد الغزالي (ت: 505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج 3، ص 331.

⁽⁴⁾ (ابن كثير) إسماعيل بن عمر القرشي (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1408هـ/1988م، ج 9، ص 277.

ما لا يغني¹.

• قال مالك: بلغني أن لقمان قال لابنه: يا بني، ليكن أول ما تفيد من الدنيا بعد خليل صالح

امرأة صالحة².

• يا بني، إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون، وهم إلى الآخرة سراعاً يذهبون، وإنك قد

استدبرت الدنيا منذ كنت واستقبلت الآخرة، وإن داراً تسير إليها أقرب إليك من دار تخرج

عنها. وقال: ليس غنى كصحة، ولا نعمة كطيب نفس. وقال: يا بني، لا تجالس الفجار ولا

تماشهم، اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم. وقال: يا بني، جالس العلماء

وماشهم عسى أن تنزل عليهم رحمة فتصيبك معهم³.

• قال لقمان لرجل ينظر إليه: إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق،

وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض. وأن مولاه أمره بذبح شاة وأن يأتيه بأطيب مضغتين فأثاه

باللسان والقلب، ثم أمره بذبح أخرى وأن ألق منها أخبث مضغتين، فألقى اللسان والقلب؛

فسأله عن ذلك فقال: هما أطيب ما فيها إذا طابا وأخبث ما فيها إذا خبثا. ودخل على داود

وهو يسرد الدروع فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها داود لبسها وقال:

نعم لبوس الحرب أنت، فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله⁴.

• قيل للقمان: أي الناس شر؟ فقال: الذي لا يبالي أن يراه الناس سيئاً أو مسيئاً⁵.

⁽¹⁾ مالك، الموطأ، كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب، رقم الحديث: 1789.

⁽²⁾ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 171، نقله من جامع المستخرجة للعتبي، ولم أظفر بهذا الكتاب.

⁽³⁾ (ابن العربي) محمد بن عبد الله الأندلسي (ت: 543هـ)، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ج 3، ص 331.

⁽⁴⁾ الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 372-373، بتصريف.

⁽⁵⁾ (ابن عطية) عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت: 541هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد

السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1413هـ. 1993م.

• كان لقمان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث داود قطع الفتوى فقبل له، فقال: ألا أكتفي إذا كفيت¹؟!

• قال يوما: من يختار الدنيا على الآخرة تفتته الدنيا ولا يصيب الآخرة².

• سأل داود لقمان: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت في يدي غيري³.

• قال لقمان لابنه: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة⁴.

• يا بني، إنما مثل المرأة الصالحة كمثل الدهن في الرأس؛ يلين العروق ويحسن الشعر، ومثلها كمثل التاج على رأس الملك، ومثلها كمثل اللؤلؤ والجوهر؛ لا يدري أحد ما قيمته، ومثل المرأة السوء كمثل السيل لا ينتهي حتى يبلغ منتهاه: إذا تكلمت أسمعت، وإذا مشت أسرع، وإذا قعدت رفعت، وإذا غضبت أسمعت، وكل داء يبرأ إلا داء امرأة السوء. يا بني، لأن تساكن الأسود والأسود خير من أن تساكنها؛ تبكي وهي الظالمة، وتحكم وهي الجائرة، وتنطق وهي الجاهلة، وهي أفعى بلدغها⁵.

• يا بني، سافر بسيفك وخفك وعمامتك وخبائك وسقائك وحيوطك ومخزرك، وتزود معك من الأدوية ما تنتفع به أنت ومن معك، وكن لأصحابك موافقا إلا في معصية الله عز وجل. يا بني، إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التيسر في وجوههم، وكن كريماً على زادك بينهم، فإذا دعوك فأجبههم، وإذا استعانوا بك فأعنههم، واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة وسخاء النفس بما معك من دابة أو ماء أو زاد، وإذا استشهدوك على

⁽¹⁾ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص58

⁽²⁾ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص59

⁽³⁾ عبد الله بن عمر البضاوي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، ج4، ص346.

⁽⁴⁾ (القاضي) عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، 1409هـ -

1988م، ج1، ص86

⁽⁵⁾ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص172، نقله من كتاب آداب النكاح للقاسم بن يأمون التليدي، ولم أظفر به.

الحق فاشهد لهم، واجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر، ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعّد وتنام وتأكّل وتصلّي، وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته، فإن من لم يمحض النصيحة من استشارة سلبه الله رأيه، وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم، فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، واسمع لمن هو أكبر منك سناً، وإذا أمروك بأمر وسألوك شيئاً فقل: (نعم) ولا تقل: لا؛ فإن (لا) عي ولؤم، وإذا تحيرتم في الطريق فانزلوا وإذا شككتهم في القصد فقفوا وآمروا، وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه، فإن الشخص الواحد في الفلاة مُريب؛ لعله يكون عين اللصوص، أو يكون هو الشيطان الذي حيركم، واحذروا الشخصين أيضاً إلا أن تروا ما لا أرى، لأن العاقل إذا أبصر بعينه شيئاً عرف الحق منه، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة وأكثرها عشباً، فإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعلفها قبل نفسك فإنها نفسك، وإذا أردت قضاء حاجتك فأبعد المذهب في الأرض، وإن استطعت أن لا تأكل طعاماً حتى تبتدئ فتصدق منه فافعل، وعليك بقراءة كتاب الله - لعله يعني الزبور - ما دمت راكباً، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملاً عملاً، وعليك بالدعاء ما دمت خالياً، وإياك والسير في أول الليل إلى آخره، وإياك ورفع الصوت في مسيرك¹.

هذا ما نقلناه من حكم ووصايا لقمان الموثقة في بعض الكتب، وتركنا إيراد غيرها؛ إذ ليس الهدف في هذا المبحث استقصاءها وإنما ذكر نماذج منها، وحكم لقمان أكثر من أن تعد وتحصى.

¹الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: 468هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1415هـ / 1995م، ج8، ص83-84، بتصرف.

الفصل الثاني : مفهوم الموعظة وأثرها ومواضع ذكرها في القرآن والسنة

سأتكلم في هذا الفصل عن مفهوم الموعظة وأثرها على الموعوظ
ومواضع ذكرها في القرآن والسنة، وسيكون الكلام مقسماً إلى
ثلاثة مباحث كالآتي :

المبحث الأول: مفهوم الموعظة

المبحث الثاني: المواضع التي ورد فيها ذكر الموعظة في القرآن والسنة

المبحث الثالث: أثر الموعظة على الموعوظ

المبحث الأول: مفهوم الموعظة

قبل أن نتكلم عن الموعظة لا بد أن نفهم معنى الكلمة حتى تكون واضحة المعالم للقارئ، لذلك سأتكلم في هذا المبحث عن مفهوم الموعظة ومعناها، وسأذكر بعض ما قاله العلماء في تعريفها.

جاء في المصباح المنير قوله: [وعظه يعظه وعظا وعظة: أمره بالطاعة ووصاه بها... فاتعظ، أي: ائتمر وكف نفسه، والاسم الموعظة، وهو واعظ، والجمع وعاظ]¹. قال الخليل: [ومن أمثالهم المعروفة: لا تعطيني وتعطعطي، أي: اتعطي أنت ودعي موعظتي]².

وعرفها الجرجاني بأنها هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة³.

وقال البعلي: [الوعظ والعظة: تذكرتك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب]⁴.

وقال الفخر الرازي في تعريفها: [هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين]⁵.

⁽¹⁾ أحمد بن محمد الفيومي (ت: 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، ج2، ص665-666.

⁽²⁾ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 173هـ)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة: (وعظ).

⁽³⁾ علي بن محمد الجرجاني (ت: 816هـ)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1405هـ، ص305.

⁽⁴⁾ (شمس الدين) محمد بن أبي الفتح البعلي (709هـ)، المطلع على أبواب المقنع، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ - 1981م، ص330.

⁽⁵⁾ (فخر الدين) محمد بن عمر الرازي (ت: 605هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421هـ - 2000م، ج9، ص11.

وقال الشعراوي: [الْوَعْظُ: هُوَ التَّذْكِيرُ بِمَعْلُومَةٍ عُلِمَتْ مِنْ قَبْلُ مَخَافَةً أَنْ تُنْسَى]¹.

والناظر في التعريفات السابقة يلحظ أنه رغم اختلاف ألفاظها إلا أنها متحدة في المعنى.

المبحث الثاني: المواضع التي ورد فيها ذكر الموعظة في القرآن والسنة

لقد ورد ذكر كلمة الموعظة أو مشتقات الفعل (وعظ) في القرآن والسنة النبوية في مواضع عدة، وفي هذا المبحث سأذكر عددا منها.

أولا: الآيات التي جاء فيها ذكر الموعظة أو مشتقات الفعل (وعظ):

- قوله - تعالى - : ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]
- قوله - جل شأنه - : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]
- قوله - سبحانه - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]
- قوله - جل جلاله - : ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَابِينَ يَدِيهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦]
- قوله - عز جاره - : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]
- قوله - تعالت عظمته - : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]

¹ محمد متولي الشعراوي (ت: 1419هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997م، ج 19، ص 11636

- قوله - تقدست أسماؤه -: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]
- قوله - جل ثناؤه -: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]
- قوله - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]
- قوله - جل شأنه -: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]
- قوله - سبحانه -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ [النساء: ٦٦]
- قوله - جل جلاله -: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [١٣٦] إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٨]
- قوله -: عز جاره -: ﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ [المجادلة: ٣]
- قوله - تعالت عظمته -: ﴿[البقرة: ٢٣٢]
- قوله - تقدست أسماؤه -: ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق: ٢]
- قوله - جل ثناؤه -: ﴿[البقرة: ٢٣٢]
- قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمَ يَعِظُكُم بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]
- قوله - جل شأنه -: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]
- قوله - سبحانه -: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]

ثانيا: الأحاديث التي جاء فيها ذكر الموعظة أو مشتقات الفعل (وعظ)

1- ذكر عروة أنه لما صلى رسول الله - - صلاة الجمعة قبل غزوة أحد وعظ الناس

- وذكرهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته¹.
- 2- قال النبي - -: «والسعيد من وعظَ بغيره²».
- 3- ذكر زيد بن أرقم أن النبي - - راح عشية فصلى ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، فقال ما شاء الله أن يقول...³
- 4- عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن النبي - - وعظ رجلاً فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس⁴».
- 5- عن عبد الله بن زمعة قال: [وعظ النبي - - الناس في النساء...]⁵.
- 6- عن أنس قال: [وعظ النبي - - يوماً فإذا رجل قد صعق...]⁶.
- 7- سأل سماك بن حرب جابر بن سمرة عن كيفية خطبة النبي - - فأجاب قائلاً: [كلام يعظ به الناس ويقرأ آيات من كتاب الله ثم ينزل...]⁷.
- 8- عن رجل من بني سليط قال: [كنت في ضيعة لي فرأيت جمعا فقلت: ما هذا؟ قالوا: رسول الله - - يعظ أصحابه...]⁸.

⁽¹⁾ أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ)، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط1، 1344هـ، كتاب النكاح، باب لم يكن له إذا لبس لأتمته أن ينزعها حتى يلقي العدو ولو بنفسه، رقم الحديث: 13661.

⁽²⁾ مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله، رقم الحديث: 6896.

⁽³⁾ (الحاكم) محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: 405هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م، رقم الحديث: 4577.

⁽⁴⁾ الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الرقاق، رقم الحديث: 7873.

⁽⁵⁾ البيهقي، السنن الكبرى، كتاب القسم والنشوز، باب الاختيار في ترك الضرب، رقم الحديث: 15177.

⁽⁶⁾ المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب الأخلاق من قسم الأفعال، باب الأخلاق المحموده، رقم الحديث: 8843.

⁽⁷⁾ الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الجمعة، رقم الحديث: 1057، بتصرف.

⁽⁸⁾ (أبو يعلى) أحمد بن علي التميمي (ت: 307هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ - 1984م، مسند أبي هريرة، رقم الحديث: 6228.

- 9- عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رجل: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي - - في موعظة أشد غضبا من يومئذ، فقال: «أيها الناس، إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة¹».
- 10- عن العرياض بن سارية قال: [وعظنا رسول الله - - موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع...]².

المبحث الثالث: أثر الموعظة على الموعوظ

الموعظة لها آثار عظيمة على الموعوظ وسلوكياته إن كان في ضميره جزء من الحياة، ولذلك سأذكر في هذا المبحث بعض تلك الآثار.

من آثار الموعظة على الموعوظ أنها:

- 1- توقظ الضمير من رقدته.
- 2- تنبه القلب من غفلته.
- 3- تجعل الإنسان يحجم عن التوغل في أحشاء شهوته.
- 4- تحث المرء إلى الإقبال على التزود لآخرته.
- 5- تجعل الإنسان يراجع نفسه ويحاسبها.
- 6- تنشط المثاقيل عن القيام بواجباته إلى رعايتها وتأديتها.
- 7- تجعل الإنسان يصحح أفكاره وأقواله ومعتقداته وأفعاله.

¹ محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير/اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ - 1987م، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، رقم الحديث: 90.

² (ابن حنبل) أحمد بن محمد الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1420هـ - 1999م، مسند الشاميين، رقم الحديث: 17142.

- 8- تسوق الإنسان إلى الندم على ما قصر في جنب ربه.
- 9- تزجره عن الإصرار على سلوك طريق الفجار والاتصاف بمواصفات الأشرار.
- 10- تجعل القلوب تلين والدموع تسيل خوفا وطمعا.

الفصل الثالث: جانب العقيدة في مواضع لقمان لابنه وأثره على السلوكيات

القلبية والفعلية والقولية

سأتكلم في هذا الفصل عن العقيدة التي حاول لقمان غرسها في قلب ابنه وأثرها على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية، وسيكون تقسيم ذلك على النحو الآتي:

- **المبحث الأول: عقيدة توحيد الله وأثرها على السلوكيات القلبية والقولية والفعلية**
 - **المطلب الأول: أثر عقيدة التوحيد على السلوكيات القلبية**
 - **المطلب الثاني: أثر عقيدة التوحيد على السلوكيات الفعلية**
 - **المطلب الثالث: أثر عقيدة التوحيد على السلوكيات القولية**
- **المبحث الثاني: عقيدة مراقبة الله وأثرها على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية**
 - **المطلب الأول: أثر عقيدة مراقبة الله على السلوكيات القلبية**
 - **المطلب الثاني: أثر عقيدة مراقبة الله على السلوكيات الفعلية**
 - **المطلب الثالث: أثر عقيدة مراقبة الله على السلوكيات القولية**

المبحث الأول: عقيدة توحيد الله وأثرها على السلوكيات القلبية والقولية والفعلية

سأتكلم في هذا المبحث عن أثر عقيدة توحيد الله على سلوكيات الأفراد القلبية والقولية والفعلية، وسيكون ذلك موزعا على ثلاثة مطالب، وقبل ذلك سأذكر الموعظة الأولى التي وعظ بها لقمان ابنه وسأضيف بعدها كلاما تمهيدا قبل الشروع في المطالب.

قال الله على لسان لقمان: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ومنه نلاحظ أن لقمان بدأ كلامه بقوله لولده: {يَا بُنَيَّ}، وهذا النداء من شأنه لفت انتباه السامع، وفيه إشارات عطف وحنان وتودد من الأب إلى ابنه، إذ هذا النداء أفضل وأحسن من قوله: {يَا فَلَانُ} باسمه، وفي هذا النداء أيضا دلالات رحمة وشفقة من الوالد على ولده.

قال ابن عاشور: [ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تحليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل]¹.

وقال السعدي: [وأول شيء وعظ به لقمان ابنه هو تحقيق التوحيد الخالص لله وحده وعدم الإشراك به - سبحانه -، فهو وحده - جلّ جلاله - المستحق للعبادة، وهو وحده معبود بحق، أما غيره فمعبود باطل، فمن أشرك مع الله أحدا فقد ظلم نفسه ظلما عظيما.

ووجه كونه عظيما أنه لا أقطع وأبشع ممن سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئا بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم ينعم بمشقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص155

أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الظُّلْمِ شَيْءٌ؟؟! وَهَلْ أَعْظَمُ ظُلْمًا مِمَّنْ خَلَقَهُ اللَّهُ لِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ فَذَهَبَ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ فَجَعَلَهَا فِي أَحْسَنِ الْمَرَاتِبِ؟ جَعَلَهَا عَابِدَةً لِمَنْ لَا يَسْوَى شَيْئًا فَظَلَمَ نَفْسَهُ ظُلْمًا كَبِيرًا¹.

وقال الماتريدي: [يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: {إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} وجوهاً:

أَحَدُهَا: ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ؛ حَيْثُ وَضَعُوهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَأَوْقَعُوهَا فِي الْمَهَالِكِ بَعْدَمَا صَوَّرَهَا أَحْسَنَ تَصْوِيرٍ وَمَثَلَهَا أَحْسَنَ تَمَثِيلٍ.

ثَانِيهَا: ظَلَمُوا نِعَمَ اللَّهِ؛ حَيْثُ صَرَفُوا شُكْرَهَا إِلَى غَيْرِ مُنْعِمِهَا.

ثَالِثُهَا: ظَلَمُوا ظُلْمًا عَظِيمًا؛ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلُوا شَهَادَةَ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَأُلُوْهِيَّتِهِ فِيمَا جَعَلَهَا فِي خَلْقَتِهِمْ وَبُنْيَتِهِمْ؛ إِذْ جَعَلَ فِي خَلْقَةِ كُلِّ أَحَدٍ الشَّهَادَةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَذَلِكَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ وَأَفْحَشُهُ².

وقال إبراهيم بيوض: [فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ: إِنَّا مُجْتَمَعٌ إِسْلَامِيٌّ مَرَّ عَلَيْهِ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ، وَكُنَّا مُنْحَدِرُونَ مِنْ آبَاءِ مُسْلِمِينَ وَأُمَّهَاتٍ مُسْلِمَاتٍ، وَالْإِسْلَامُ رَاسِخٌ فِينَا، لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ وَيُوصِي بَعْضُنَا بَعْضًا بِعَدَمِ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ، كَلَّا، فَنَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَى التَّحَدُّثِ عَنْهُ، وَمَا كُنَّا نَحْسِبُهُ بَعِيدًا أَوْ مُسْتَحِيلَ الْوُقُوعِ أَصْبَحَ الْيَوْمَ وَاقِعًا؛ فَإِنْكَارُ وُجُودِ اللَّهِ أَضْحَى الْيَوْمَ شَائِعًا، وَهُوَ يَنْتَشِرُ وَيَكْثُرُ، وَهَذَا الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْإِلْحَادُ الَّذِي هُوَ مِنَ الْكُفْرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي تَجَاوَزَ كُفْرَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بَلْ حَتَّى مُشْرِكِي قَوْمِ نُوحٍ.

وَقَدْ يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّ الْعِلْمَ الْمُتَقَدِّمَ الْيَوْمَ هُوَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْإِلْحَادِ وَالْكَفْرِ، كَلَّا، ذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفْرَ

¹ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ - 2000م، ص 648

² (أبو منصور) محمد بن محمد الماتريدي (ت: 333هـ)، تفسير الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1426هـ - 2005م، ج 8 ص 302.

الذي يدَّعيه كفره اليوم - بغض النظر عن مستواه العلمي - هو نفس الكفر الذي جاء به الأقدمون، وحججهم هي نفس حجج كفار قريش في الزمن القديم، فلم يكن كفرهم بسبب التَّقدم العلمي وهذه المخترعات، وإنما بسبب ما زادتْهم من إعجابٍ وغرورٍ.

والعلم قد أوصل بعض المنصفين من عقلاء العالم إلى الإيمان، ولكن كفر من كفر بسبب الغباوة وتسلط شهواتهم عليهم وغلبة أهوائهم لهم، وهؤلاء وجدوا في الديانات السماوية ما يعطلُّهم عن تحقيق أهوائهم وإرضاء نفوسهم، فالديانات السماوية كلها تُقيِّد هذه الغرائز وتنظمها، وهم يريدونها مُنطلقةً كغرائز البهائم لا يحدُّها شيء، يريدون إزالة كلمة (حرام) ويضعوا مكانها: (لا حرام)، فلا يبقى في الدين حرام؛ لأنَّ الحرام هو ما حرَّمه الله والحلال ما أحلَّه الله، فلا تبقى سوى الفوضى المطلقة¹.

المطلب الأول: أثر عقيدة التوحيد على السلوكيات القلبية

إن توحيد الله له أثر عظيم على سلوكيات قلب الإنسان، ومن ذلك:

1- يحثُّه على الإخلاص لله في جميع أفعاله وأقواله وأحواله، يبتغي رضاه ولا يلتفت إلى سواه، لا يطلب من الخلق مدحا ولا ثناء ولا إعجابا ولا إطراء؛ فقد قال الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] وقال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال في الحديث القدسي: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُفُّهُ، وَأَنَا أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ»².

⁽¹⁾ (بيوض) إبراهيم بن عمر (1401هـ)، في رحاب القرآن، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، جمعية التراث، غرداية، ج11، ص174، بتصرف

⁽²⁾ (أبو عمرو) الربيع بن حبيب الفراهيدي (ت: 179هـ)، الجامع الصحيح، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، تعليق: د. سالم البوسعيدي، ط1، 1435هـ - 2014م، كتاب الإيمان، باب في ذكر الشرك والكفر، رقم الحديث: 61.

2- [يجعله طامعًا راجبًا في رضا الله ورحمته وثوابه، خائفًا هاربًا من غضب الله وعقابه، ويجب أن يكون مقدار الخوف في قلبه مساويًا لمقدار الطمع لسببين: أولهما: لأنه إن زاد الطمع على الخوف قد يصل صاحبه إلى الأمن من مكر الله، وبذلك سيتهاون في فعل الطاعات ولن يتراجع عن فعل المحرمات، وقد قال الله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]

وثانيهما: إذا زاد مقدار الخوف على مقدار الطمع فقد يصل صاحبه إلى اليأس من رحمة الله، والله - عز وجل - يقول: ﴿

أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]¹.

3- يمنعه من إنكار وجود الله أو صفة من صفاته أو ملك من ملائكته المعروفين قطعاً أو وجود الملائكة مطلقاً أو كتاب من كتبه التي ثبت نزولها قطعاً أو رسول من رسله الذين ثبت رسالتهم قطعاً أو اليوم الآخر وأحداثه التي أخبر الله عنها؛ فإن ذلك كله شرك جحود.

4- يجعله منكراً للمنكر بقلبه عند عدم قدرته على تغييره بيده أو لسانه، فقد روى أبو سعيد عن النبي - - قوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان»².

5- إيمانه بأن الله وحده هو الخالق البارئ المصور المبدع له آثار على قلبه، منها:

✓ [يَجْعَلُهُ يَتَذَكَّرُ دَائِمًا أَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُجُومٍ وَكَوَاكِبٍ

⁽¹⁾ منذر بن خميس الشيعي، أثر الإيمان على سلوك الإنسان، طبعة ذاتية منشورة، ط1، ص5-6

⁽²⁾ مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث: 186.

وَسُحْبٍ وَرَعْدٍ وَبَرْقٍ وَأَنْهَارٍ وَأَشْجَارٍ وَثَمَارٍ وَأَمْطَارٍ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَجَعَلَ لَهُ أَنْفًا وَعَيْنَيْنِ، وَيَدَيْنِ وَرِجْلَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَقَلْبًا وَرِئْتَيْنِ، وَكَبِدًا وَأَمْعَاءَ وَمَعِدَّةً وَكُلَيْتَيْنِ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا.

✓ وَيَجْعَلُهُ يُعَظِّمُ اللَّهُ وَيَشْكُرُهُ وَيَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمٍ ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ، وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِهَذِهِ الْمِنَّةِ الْعَظِيمَةِ وَالْمِنْحِ الْجَسِيمَةِ¹.

6- إيمانه بأن الله عليم بكل ما دَقَّ وَجَلَّ، مُحِيطٌ بِكُلِّ مَا كَثُرَ وَقَلَّ، خَبِيرٌ بِمَنْ أَصَابَ وَزَلَّ يَجْعَلُهُ:

➤ [يُؤْمِنُ أَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ عِلْمُهُ قَلِيلٌ مَحْدُودٌ، لَا يُسَاوِي شَيْئًا أَمَامَ عِلْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

➤ وَيَصْدُقُ فِي إِيْمَانِهِ وَحُبِّهِ لِلَّهِ وَرُسُولِهِ وَطَاعَتِهِمَا².

7- إِيْمَانُهُ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْمُقَيِّتُ الرَّزَّاقُ الْوَهَّابُ الْمُعْطِي الْمَانِعُ الْمَقْدَمُ الْمُؤَخَّرُ يَجْعَلُهُ مُتَعَلِّقًا بِاللَّهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ طَالِبًا مِنْهُ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ رَاضِيًا بِمَا قَسَمَهُ لَهُ قَنُوعًا بِمَا أَفَاضَهُ عَلَيْهِ مُسْتَرِيحٌ الْبَالِ طَيِّبِ الْخَاطِرِ مُفَوَّضًا أُمُورَهُ إِلَيْهِ حَسَنَ الظَّنِّ بِهِ مُسْتَسْلِمًا لَهُ.

8- إِيْمَانُهُ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ النَّافِعُ الصَّارُ يَجْعَلُهُ يَعْتَقِدُ يَقِينًا أَنَّهُ لَا نَافِعَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ كُلَّ الْمَخْلُوقَاتِ لَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ مَنَفَعَةً وَاحِدَةً فَضْلًا عَنْ قُدْرَتِهِمْ عَلَى نَفْعِ غَيْرِهِمْ، وَلَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا فَضْلًا عَنْ قُدْرَتِهِمْ عَلَى ضَرِّ غَيْرِهِمْ.

⁽¹⁾ منذر الشيعي، أثر الإيمان، ص 7، بتصرف

⁽²⁾ منذر الشيعي، أثر الإيمان، ص 8، بتصرف

المطلب الثاني: أثر عقيدة التوحيد على السلوكيات الفعلية

إن لعقيدة التوحيد الناصعة آثارا جليلة على أفعال الإنسان وتصرفاته، منها:

- 9- تمنعه من عبادة غير الله بأي شكل من أشكال العبادة كالتقرب إليه - أعني المخلوق - تقرب العبد إلى ربه بأي وسيلة، وطلب كشف الضر عنه وتحويله، وارتجاء الشفاء منه والذبح له والسجود بين يديه وغيرها من الأشكال والصور؛ فهي بلا شك مساواة بين الخالق والمخلوق، فكفى بها شركا خطيرا وظلما كبيرا.

ولقد رد الله على هؤلاء وأمثالهم واستنكر ذلك منهم واستشعنه حيث قال: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۝٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِيَ لِلْحَقِّ ۖ فَمَن يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِيَ إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس: ٣٤ - ٣٥]، وقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ ۚ يَعْدِلُونَ ۝٣٦﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ ۚ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٧﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣٨﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ ۚ تَعْلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣٩﴾ أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠﴾ [النمل: ٦٠ - ٦٤]، إلى غيرها من الآيات الكثيرة التي تخاطب عقول المشركين.

10- تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ مِطِيعًا لِرَبِّهِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ وَيَنْهَاهُ عَنْهُ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَنَا أَنَّ طَاعَةَ الْعَبْدِ لَهُ دَلِيلٌ عَلَى إِيْمَانِهِ الصَّادِقِ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١﴾ [الأنفال: ١]، وَأَنَّ عَدَمَ طَاعَتِهِ كُفْرٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ٣٢﴾ [آل عمران: ٣٢].

وتدخل في طاعة الله طاعة رسوله؛ فقد بين الله لنا أن طاعة النبي - | - :

- علامة على صدق الإيمان، بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١﴾ [الأنفال: ١]
- وسبب لنيل الرحمة، بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢]
- وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦﴾ [النور: ٥٦]
- وسبب للهداية، بقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٥٤﴾ [النور: ٥٤]
- وتحقيق لطاعة الله، بقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ٨٠﴾ [النساء: ٨٠]
- وأمانة على صدق محبة العبد لربه وسبب لنيله محبة ربه، بقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١]
- وسبب للفوز العظيم، بقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ٥٢﴾ [النور: ٥٢]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ١٧﴾ [الفتح: ١٧].

ولقد حثنا الله إلى أخذ ما آتانا الرسول والانتفاء عما نهانا عنه بقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ٧﴾ [الحشر: ٧]، ونفى الإيمان عمن لا يحكم النبي - | - في الشجار والذي يجد في نفسه حرجا من قضاء النبي - | - والذي لا يسلم ولا يستسلم لقضائه - | - بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥]، وبين لنا أن عدم طاعة الرسول - | - :-

- كفر، بقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢]

- وأمرة على الضلال المبين، بقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]

- وسبب للإصابة بالفتنة أو نيل العذاب الأليم، بقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذَّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٧]، وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]

- وسبب للخلود في النار، بقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣].

ويدخل في الطاعة:

- الفرائض، كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم الواجب وحج البيت الحرام والجهاد وأداء الأمانة والتعاون على البر والتقوى وبر الوالدين ومراعاة حق الجار وصلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالفعل، وغيرها من الأمور المفروضة في كتاب الله أو سنة نبيه - | - .

- والنوافل، كالصدقات والصلوات غير المفروضات وصيام التطوع وإمالة الأذى والإصلاح بين الناس والحلم والعفو واحتمال الأذى وغيرها مما لا يحصر من أعمال البر.

ويدخل في المعصية كل المحرمات في كتاب الله أو سنة نبيه - | - كالسرقة والزنا وأكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والتعامل بالمعاملات المالية المحرمة والتجسس والغش وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال ووصل الشعر والوشم والوشر والقرع ولطم

الخدّ وشقّ الجيب ونفش الشعر وإهالة التراب عليه عند نزول المصائب، وغيرها من الأفعال المذمومة التي تعضب الله.

المطلب الثالث: أثر عقيدة التوحيد على السلوكيات القولية

لا شك أن لعقيدة التوحيد آثارا على لسان الإنسان، منها:

1- تجعله يكثر من ذكر الله والثناء عليه وحمده وتعظيمه وتمجيده وتقديسه وتسبيحه وتهليله

وتكبيره لينال عفوه ورحمته ورضاه وينسجم مع الكون، فقد قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]، وقال: ﴿وَكَبِّرْهُ

تَكْبِيرًا ۝١١١﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ

النُّجُومِ ۝٤٩﴾ [الطور: ٤٨ - ٤٩]، وقال: ﴿فِي يُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ۖ

يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تَجَرَّةً وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ

الزَّكَاةِ ۝٣٧﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧]، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ۝١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿

وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِّينَ ۝١٩٨﴾ [البقرة: ١٩٨]،

وقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝٢٣٩﴾ [البقرة: ٢٣٩]، وقال: ﴿

فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۝١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال:

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ

الْغَافِلِينَ ۝٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة:

١٠]، وقال: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: ٨]، وقال لعبده زكريا: ﴿وَاذْكُرْ

رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۝٤١﴾ [آل عمران: ٤١]، وقال على لسان الملائكة:

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۝٣٠﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال عنهم: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وأيضا: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨]، وقال عن سائر المخلوقات: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

2- تجعله مواظبا على الاستغفار عمّا بدر منه من نقص وتقصير ونسيان وخطأ وسهو وعصيان، قال الله حاثًا على ذلك: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٩]، وقال: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿١٩٩﴾﴾ [محمد: ١٩]، وامتدح المتقين المحسنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال على لسان نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ [نوح: ١٠]، وعلى لسان شعيب: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠]، وعلى لسان يعقوب: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٩٨]، وعن داود: ﴿وَطَنَّ دَاوُدُ أَنْفَاقَتَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ [ص: ٢٤]. وعن ابن عمر قال: إن كنا لنعد لرسول الله - | - في المجلس الواحد مائة مرة «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم¹».

3- تُصَيِّرُهُ آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر بلسانه، فقد أوجب الله ذلك على عباده في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله: ﴿

(1) (أبو داود) سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، كتاب سجود القرآن، باب في الاستغفار، رقم الحديث: 1516.

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴿[التوبة: ٧١]﴾، وقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]،
وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله - | - يقول: «من رأى منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان¹».

4- تجعله في مصاف الناصحين للمسلمين، فقد روى تميم الداري عن النبي - | - أنه قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم²»، وعن
جرير بن عبد الله قال: بايعت رسول الله - | - على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح
لكل مسلم³، وعن أبي هريرة عن النبي - | - قال: «حق المؤمن على المؤمن ست»⁴،
ومنها: «وإذا استنصحتك فانصَحْ له⁴»، وعن حذيفة بن اليمان عن النبي - | - قال: «مَنْ
لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وَمَنْ لَمْ يُنْصَحْ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِإِمَامِهِ
وِلْعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ⁵»، ولقد نصح الرسل أقوامهم، فها هو نوح يقول لقومه: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ وَانْصَحْ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وذلك صالح يقول: ﴿يَلْقَوْهُمْ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا لِّيَ وَانْصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف: ٧٩]،
وكذلك شعيب يقول: ﴿يَلْقَوْهُمْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا لِّيَ وَانْصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٩٣]، ومن قبله هود قال لقومه: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف: ٦٨]،

⁽¹⁾ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رقم الحديث: 186

⁽²⁾ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث: 95

⁽³⁾ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي - صلى الله عليه و سلم - : الدين النصحية لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، رقم الحديث: 57.

⁽⁴⁾ صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم الحديث: 2162

⁽⁵⁾ سليمان بن أحمد الطبراني (ت: 360هـ)، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م، باب: الميم، من اسمه محمد، رقم الحديث: 907.

[٦٨]، ولا شك أن النصيحة للأشخاص تكون باللسان في غالب الأحيان.

5- تجعل لسانه مصدرا لتعليم القرآن والعلم النافع ونشره وتبليغه؛ وهذا يجعل الشخص في درجة امتياز عالية، فقد روى ذو النورين عن النبي - | - أنه قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه¹»، وعن عائشة قالت: قال رسول الله - | -: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة...²»، وعن عبد الله بن عمرو عن النبي - | - قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارْتَقِ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها³».

6- تحثه على دعاء الله وطلب حاجاته منه والتضرع بين يديه والتبئل إليه؛ فقد أمرنا الله بذلك قائلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، وبين لنا النبي - | - أن الدعاء هو العبادة في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير عنه أنه قال: «الدعاء هو العبادة...⁴»، وبين لنا كرم الله وحياءه حين يرفع العبد إليه يديه بالدعاء قائلا: «إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا⁵»، وأخبرنا الله في كتابه أن الذي يدعو غير الله ظالم حين قال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

7- تحثه على التكلم مع الناس بشتى أوصافهم بالحسنى، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وقال: ﴿وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

⁽¹⁾ صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم الحديث: 4739

⁽²⁾ صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه، رقم الحديث: 244

⁽³⁾ (الترمذي) محمد بن عيسى السلمي (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب فضائل القرآن، باب: 18، رقم الحديث: 2914.

⁽⁴⁾ سنن أبي داود، كتاب سجود القرآن، باب الدعاء، رقم الحديث: 1479

⁽⁵⁾ سنن أبي داود، كتاب سجود القرآن، باب الدعاء، رقم الحديث: 1488

المبحث الثاني: عقيدة مراقبة الله وأثرها على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية

إن استشعار العبد مراقبة الله له وخبرته وعلمه وإحاطته بجميع أحواله يصنع منه عبدا مطيعا مستقيما على طريق الرشاد، وعدم استشعاره ذلك وإيقانه به يصنع منه عبدا عاصيا متمردا متخبطا بين طرق الفساد، منحرفا عن السلوك المرضي لرب العباد؛ ولذلك اعتنى لقمان بغرس هذه العقيدة العظيمة في قلب ابنه ليصنع منه عبدا صالحا، وظهر ذلك في وعظه لابنه قائلاً:

﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰٓاْتِ بِهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

قال أحمد السعدني: [وحبة الخردل يضرب بها المثل في الخفة والضآلة، فهي لا يدرك ثقلها بالحس ولا ترجح ميزانا، فإنها كانت في أحرز مكان وأعزه منالاً مثل الصخرة أو كانت في أقصى مكان وأوسع انتشاراً مثل السماوات أو كانت في أخفى الأماكن وأكثرها ظلاماً مثل الأرض كقوله: ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ اَلْاَرْضِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فإن كل ذلك في جانب علم الله وقدرته سواء¹]. ومن الدقة التعبير البديعة أنه قال: [يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ] ولم يقل: [يعلمها الله]، للدلالة على العلم بها والقدرة على الإتيان بها من أي مكان في هذا الكون الفسيح.

وإن العبد قد يوحد ربه ولكن لا يعتقد مراقبته له واطلاعه على جميع أحواله ثم محاسبته على خيرها وشرها، وقد يعتقد أن شخصا يراقبه ومطلع على أحواله فينضبط على فعل أوامره وترك نواهيه لأي سبب من الأسباب ولكن لا يعتقد استحقاقه للعبادة والتوحيد، ولكن المُوَحِّد الصادق يُوَحِّدُ الله ويؤمن بعلمه وخبرته بأحوال مخلوقاته.

وإن هذه العقيدة تلازم الإنسان في سائر أوقات وشؤون حياته، إلا أنها تتجلى في السر أكثر من الجهر، والخلوة أكثر من الخلطة، والسفر أكثر من الحضر، والقلب أكثر من الجوارح، والأمن أكثر من الخوف، وهي التي تردع الإنسان عن التمرُّغ في مستنقعات الرذيلة وتقوده إلى شواطئ وبساتين الفضيلة، وهي التي إذا شارف على السقوط في شيء من أحوال الذنوب أقامته

¹ عبد الجليل أحمد علي (معاصر)، تبصير القلب السليم بوصايا لقمان الحكيم، دار الإيمان، الإسكندرية، ص 70.

وذكرته وزجرته، وهي التي إذا قصر عن القيام بالقربات والصلوات حشته ورغبته؛ فأنعم بعدد دائم الاستحضار لرقابة مولاه فأنتهى وارعوى عن اتباع هواه.

وهذه المراقبة مرتبطة بإيمان العبد بعدد من أسماء الله وصفاته، منها: [العليم - الخبير - السميع - البصير - المحيط - الشهيد - الرقيب - المحصي]، ولقد تكلم الله عنها في مواضع عديدة من كتابه، منها: قوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا يَبْسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٦١﴾ [يونس: ٦١]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٧﴾ [الحج: ١٧]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

وفي المطالب القادمة سنذكر بعض آثار استشعار تلك المراقبة على سلوكيات العبد القلبية والفعلية والقولية.

المطلب الأول: أثر عقيدة مراقبة الله على السلوكيات القلبية

إن العبد الذي يؤمن أن الله عليم بخفايا قلبه وطوايا نفسه، وقرع باب قلبه قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٢٣﴾ [لقمان: ٢٣]، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ٢٩﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ٧٤﴾ [النمل: ٧٤]، سيثمر إيمانه هذا ثمارا حميدة، منها:

1- سيُضمَر الاستسلام والانقياد والإذعان التام الخالص لله دون غيره، فالله - عز وجل - يقول: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]

2- سيجعله راضيا في قرارة قلبه بأحكام الله وتشريعاته؛ إذ الاستسلام دون الرضا لا يكفي، بل لا بد من اقترانهما ليتحقق الإيمان الصادق، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُخَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وإذا كان هذا في حق حكم النبي - ﷺ - وقضائه فهو في حق حكم الله أولى وأجدر.

3- سيكون قصده رضا الله في كل ما يقول ويفعل من خير وكل ما يترك من شر، فالله - جل جلاله - يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، ويقول: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وتوَعَّد مَنْ أَشْرَكَ أَحَدًا مَعَهُ فِي قَصْدِهِ بِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ، وَأَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ»¹، وقال النبي - ﷺ -: «الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»².

4- سيمنعه من إضمارِ الكِبَرِ فضلا عن إظهاره، فعن عبد الله بن مسعود عن النبي - ﷺ - قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبَرٍ»³.

5- سيمنعه من سوء الظن بالمؤمنين، فقد نهى الله عن ذلك في كتابه قائلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وحذَّر منه النبي - ﷺ - أصحابه قائلا: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»⁴.

⁽¹⁾الربيع، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب: في ذكر الشرك والكفر، رقم الحديث: 61

⁽²⁾صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية الحسنة ولكل امرئ ما نوى، رقم الحديث: 54

⁽³⁾صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان، رقم الحديث: 147

⁽⁴⁾صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، رقم الحديث: 5717

6- سيمنعه من إضرار الحسد للمؤمنين، فقد قال النبي - | - : «... ولا تحاسدوا...
وكونوا عباد الله إخواناً¹»، وأمر الله في كتابه بالاستعاذة من شر الحاسد في سورة الفلق،
والمقصود ههنا الحسد المذموم الذي هو تمنى زوال نعمة الغير.

7- سيمنعه من الإعجاب بنفسه أو بأعماله الصالحة أو علمه أو غيره؛ فإن الله طرد قبله
إبليس الذي أعجب بأصل خلقته وأغرق فرعون الذي أعجب بملكه وخسف بقارون الذي
أعجب بعلمه، وهؤلاء جميعاً دعاهم عجبهم إلى الغرور وهذا دعاهم إلى الاستكبار فاستحقوا
الهلاك. قال النبي - | - : «بينما رجل يمشي في حُلَّةٍ تعجبه نفسه مُرَجِّلٌ جُمَّتْهُ إِذْ خَسَفَ
الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة²».

8- سيحبه على حب المؤمنين وموالاتهم وعدم بغضهم ومعاداتهم، فقد قال الله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال النبي - | - : «ترى المؤمنين في
تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر
والحمى³» وقال: «ولا تباغضوا... وكونوا عباد الله إخواناً...⁴»، وقال: «إن الله قال: مَنْ
عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب⁵».

9- سيمنعه من حب الفاسقين والكافرين وموالاتهم، فقد نهى الله عن ذلك قائلاً: ﴿لَا يَتَّخِذِ
الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ
تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا
دِينَكُمْ هُزُوا وَلِعِبَاءَ مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧]، وقال: ﴿لَا يَجِدُ
قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

⁽¹⁾ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، رقم الحديث: 5717

⁽²⁾ صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، رقم الحديث: 5452

⁽³⁾ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهايم، رقم الحديث: 5665

⁽⁴⁾ الجامع الصحيح، كتاب الآداب، باب جامع الآداب، رقم الحديث: 709

⁽⁵⁾ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث: 6137

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿[المجادلة: ٢٢]﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣]، وسأل رجلُ النبي - | - متى الساعة يا رسول الله؟ قال:
«ما أعددت لها؟» قال: ما أعددتُ لها من كثيرِ صلاةٍ ولا صومٍ ولا صدقةٍ، ولكني أحب
الله ورسوله، قال: «أنت مع من أحبت¹»، ومن أحبَّ الفسقة فهو معهم يوم القيامة بالقياس.

10- يجعله منكرا للمنكر بقلبه عند عدم قدرته على تغييره بيده أو لسانه، فقد روى أبو سعيد
عن النبي - | - قوله: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم
يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان²».

المطلب الثاني: أثر عقيدة مراقبة الله على السلوكيات الفعلية

إن العبد إذا آمن أن الله رقيب على حركاته وسكناته وقد وُكِّلَ به ملائكة يكتبون حسناته وسيئاته
كما قال في محكم آياته: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾
[الانفطار: ١٠ - ١٢] و﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: ٢١] يكون لإيمانه ذاك أثر بالغ
على أفعاله، ومن ذلك:

1- يحثه على صون الأمانات وتأديتها إلى أهلها امتثالا لأمر الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ
تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

2- يمنعه من الغش والخداع بمختلف صورهِ كالغش في البيع والشراء وأثناء الاختبارات في
مؤسسات التعليم ولأجل نيل شهادة أو وظيفة وغيرها لأن ذلك يخرجهُ من صفة الإيمان،

⁽¹⁾ صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: علامة الحب في الله عز وجل، رقم الحديث: 5819

⁽²⁾ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رقم الحديث: 186

فعن أبي هريرة أن رسول الله - | - قال: «... ومن غشنا فليس منا¹».

3- يمنع من أكل أموال الناس ظلماً وعدواناً وسرقتها، فقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله - مُتَوَعِّدًا آكلي أموال اليتامى ظلماً - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، ووضع عقوبة شديدة على السارق لتدل على عظم جرمه فقال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

4- يمنع من التطفيف في الكيل، فقد أوجب الله إيفاء الكيل بقوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥]، وتوعَّد المطففين بالويل قائلاً: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١ - ٣].

5- يمنع من الإقدام على الزنا والانغماس في أحواله، فقد نهى الله عنه بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

6- يمنع من النظر إلى المحرمات، فقد أمر الله بغضِّ البصر قائلاً: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُوْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظُوْنَ فُرُوجَهُنَّ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣١ - ٣٠]، ومنع من التجسس - الذي يكون أغلبه بالنظر - قائلاً: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

7- يمنع من الاستماع للمحرمات كالأغاني ومزامير الشيطان والنِّياحة والكلام الماجن والغيبة، فقد قال الله في كتابه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، وقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي

¹(صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: من غشنا فليس منا، رقم الحديث: 164)

الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ
 إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ^١ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠]،
 فهي عن القعود في المجالس التي فيها كفر واستهزاء بآيات الله، بل اعتبر القاعد فيها -
 ولو لم يشاركهم القول - مثل الخائضين في ذلك الحديث لا سيما إذا لم يسع إلى تغيير
 المنكر، وهذا الحكم يسري على كل مجلس يقال فيه ما يُسخط الله من صنوف الكلام،
 وقال أيضا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا
 يُنسِيَتَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]، فليجتنب
 الحريص على نجاته مجالسة هؤلاء والرضا بما يقولونه، وإذا رأى المرء في مثل هذه المواطن
 أنه لا يضيق صدره ولا يحزن قلبه ولا يتمر وجهه فليراجع نفسه وليحاسبها. وقال النبي -
 | - : «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: صوت مزمار عند نعمة، وصوت مُرَّةٍ عند
 مصيبة^١»، وزيد فيها في رواية أخرى: «لُعِنَتِ النَّائِحَةُ وَالْجَالِسَةُ إِلَيْهَا وَالْمُسْتَمِعَةُ^٢». قال
 الربيع: المُرَّةُ: النَّائِحَةُ، وصوت مزمار: صوت مُغْنِيَةٍ^٣.

المطلب الثالث: أثر عقيدة مراقبة الله على السلوكيات القولية

إن الذي يوقن بأنه على كل ما يقول بلسانه مراقب، وعلى كل حرف وكلمة وعبرة يوم القيامة
 محاسب، و﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ
 إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ^٤﴾
 [المجادلة: ٧] وأنه ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨]، ستتأثر سلوكيات لسانه بهذا
 اليقين، ومن جملة الآثار التي ستظهر عليه:

^(١) الجامع الصحيح، كتاب الأشربة من الخمر والنبذ، باب في المحرمات، رقم الحديث: 648

^(٢) الجامع الصحيح، كتاب الأشربة من الخمر والنبذ، باب في المحرمات، رقم الحديث: 648

^(٣) الجامع الصحيح، كتاب الأشربة من الخمر والنبذ، باب في المحرمات، معلقا على الحديث رقم: 648

1- سيلزم الصدق في كل أقواله، فقد أوجب الله الصدق على عباده قائلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وبين النبي - ﷺ - عاقبة

الصادقين والكاذبين بقوله: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا¹»، بل بين لنا أنه لا يكون المرء مؤمنا ما دام متصفا بالكذب، فعن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب...²».

2- سيمتنع عن إيذاء الناس بلسانه بأي شكل من أشكال الأذى، مثل:

○ الغيبة، فقد حرّمها الله بقوله: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

○ المشي بين الناس بالنميمة، فعن حذيفة قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «لا يدخل الجنة نمام³».

○ شهادة الزور، فقد نهى الله عنها بقوله: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

○ قذف الأعراض، فقد لعن الله فاعل ذلك وتوعده بالعذاب العظيم في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

○ وأمر بجلدهم ونهى عن قبول شهادتهم ووصفهم بالفسق في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ

هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤ - ٥].

○ سب المؤمنين وشتمهم، فقد قال رسول الله - ﷺ - : «سباب المسلم فسوق...⁴».

¹ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } وما ينهى عن الكذب، رقم الحديث: 5743

² صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب آية المنافق، رقم الحديث: 33

³ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم النميمة، رقم الحديث: 168

⁴ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم الحديث: 5697

○ السخرية من الناس وهمزهم ولمزهم ونبزهم بالألقاب السيئة، فقد حرّم الله ذلك في كتابه وعده فسقا وظلما في قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١]، وذمّ الهمّازين في قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١١﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتِلِّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفلم: ١٠ - ١٣]، وتوعدهم واللمّازين بالويل والشبور قائلا: ﴿وَيْلٌ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَ لَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَا لَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَتَ فِي الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ١ - ٩].

3- سيمنع عن التكلم بغير علم، فقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال النبي - ﷺ - : «مَنْ أَفْتَى مسألة أو فسّر رؤيا بغير علم كان كمن وقع من السماء إلى الأرض فصادف بئرا لا قعر لها ولو أنه أصاب الحق¹».

(¹) الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب في طلب العلم لغير الله عز وجل وعلماء السوء، رقم الحديث: 36

الفصل الرابع: جانب العبادات في مواعظ لقمان لابنه وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية

سأتكلم في هذا الفصل عن العبادات التي حاول لقمان حث ابنه على المحافظة عليها وأثرها على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية، وسيكون تقسيم ذلك على النحو الآتي:

- **المبحث الأول: إقام الصلاة وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية**
 - **المطلب الأول: أثر إقام الصلاة على السلوكيات القلبية**
 - **المطلب الثاني: أثر إقام الصلاة على السلوكيات الفعلية**
 - **المطلب الثالث: أثر إقام الصلاة على السلوكيات القولية**
- **المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية**
 - **المطلب الأول: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السلوكيات القلبية**
 - **المطلب الثاني: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السلوكيات الفعلية**
 - **المطلب الثالث: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السلوكيات القولية**
- **المبحث الثالث: الصبر على المصائب وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية**
 - **المطلب الأول: أثر الصبر على المصائب على السلوكيات القلبية**
 - **المطلب الثاني: أثر الصبر على المصائب على السلوكيات الفعلية**
 - **المطلب الثالث: أثر الصبر على المصائب على السلوكيات القولية**

المبحث الأول: إقام الصلاة وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية

في هذا المبحث سأتكلم عن أثر إقام الصلاة على سلوكيات الإنسان القلبية والفعلية والقولية، فقد حث لقمان ابنه على ذلك بقوله: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [لقمان: ١٧].

وإقام الصلاة كما هو معروف أنه تأديتها كما أرادها الله من العبد بخشوعها وخضوعها وأركانها وشروطها، إذ هي عمود الدين، ورُكْنُهُ الرُّكْنُ، وحرز الرِّصْنُ، ووظيفتها العظمى: تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن كانت صالحة صلحت سائر الأعمال، وإن كانت فاسدة فسدت سائر الأعمال، ومن علامات صلاحها في الدنيا أن تحجز صاحبها عن الحرام.

وقضية إقام الصلاة كانت موجودة في الأمم السابقة، فالله يحكي لنا عن سيدنا إبراهيم قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وأخبرنا عن بعض ما أوحاه إلى ذُرِّيَّتِهِ قَائِلًا: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقد أمر به سيدنا موسى بقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وبين كذلك أنه كان من الذين هادوا أشخاص مقيمين للصلاة في قوله: ﴿فِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [١٦٠] وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليمًا [١٦١] لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا [النساء: ١٦٠ - ١٦٢]، وأمر به سيد الخليفة - - قَائِلًا لَهُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٣]

[١١٤]، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، ولا شك أنه سيأمرهم بالصلاة التي يريد بها الله مُقَامَةً، وَأَمَرْنَا بِذَلِكَ قَائِلًا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وَاعْتَبَرَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ مِنَ الْمُتَّقِينَ الْمُهْتَدِينَ الْمَفْلَحِينَ حَيْثُ قَالَ: ﴿الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ١ - ٥] وَاعْتَبَرَهُمْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [لقمان: ١ - ٤]، وَاعْتَبَرَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿طس ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [النمل: ١ - ٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، وَأَوْضَحَ لَنَا اللَّهُ أَنَّهُ سَيَرْحَمُهُمْ قَائِلًا: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [التوبة: ٧١].

قَالَ الْخَطِيبُ: [وَبَعْدَ أَنْ كَشَفَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ دَعَاهُ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، حَتَّىٰ إِذَا عَبْدَهُ كَانَتْ عِبَادَتُهُ عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِمَنْ يَعْبُدُ، وَذَلِكَ مِمَّا يُعْطَى الْعِبَادَةُ مَفْهُومًا صَحِيحًا فَيَخْشَعُ لَهَا الْقَلْبُ، وَتَسْكُنُ فِيهَا الْجَوَارِحُ، وَتَتَنَعَّشُ بِهَا الْمَشَاعِرُ، أَمَّا الْعِبَادَةُ الَّتِي لَا تَقُومُ عَلَىٰ عِلْمٍ فَهِيَ كَالزَّرْعِ الَّذِي لَا يَقُومُ عَلَىٰ سَوْقٍ أَوْ جُدُورٍ. وَالصَّلَاةُ هِيَ رَأْسُ الْعِبَادَاتِ فِي كُلِّ شَرِيعَةٍ،

وَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ فِي كُلِّ دِينٍ، وَلِهَذَا كَانَ مَقَامُهَا هُنَا هُوَ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ¹.

فلاحظ كيف نصَحَ ابنُه بإقام الصلاة ولم يقتصر على نصحه بأدائها فقط، فثمة فرق بين الأداء دون مُراعاة لصحة أو فساد، أو كمال أو نقص، أو صواب أو خطأ، وبين الأداء المقرون بالمُراعاة والمُراقبة والمُجاهدة، فكَم من أناس يؤدُّون الصلاة فيقومون ويركعون ويسجدُّون ويقعدُّون، ولكن ليس للصلاة أثرٌ على سلوكياتهم، فهم يعمهون في طغيانهم، ويسترسلون في عصيانهم، فأتى يوصف هؤلاء بأنهم مُقيمون للصلاة؟!

وإنَّ المرءَ ليعجب حين يرى بعضهم خرج من صلاة الجماعة فلم يكذَّ يُجاوزُ بابَ المسجدِ حتى اغتابَ زَيْدًا، وسبَّ عمرًا، وكذَّبَ على سعيدٍ، وقَدَحَ في عِرْضِ خالدٍ، واستهزأَ بِسالمٍ، وسلسلَ المعاصي مُستمرَّةً، فأين تعظيمُ شعائرِ الله؟ وأين أثرُ الصلاة التي صلاها؟!

رُوي عن عمر بن الخطَّاب أنه كتب إلى عُماله: [إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ، فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ]²، فالذي ضيَّع الصلاة التي هي أمانةُ الله بين يديه كيف يُمكن أن يحفظ أمانات المسلمين في أموالهم وأعراضهم؟ فحقُّ الله تعالى الذي هو أعظم وأؤكد وأوجب ضيَّعته وأنت قادرٌ على أدائه لأنَّه ليست لك رغبةٌ في رضاه ولا رهبةٌ من سخطه، فكيف بعد ذلك تُوفي ما عليك من أماناتٍ وواجباتٍ للعباد؟³

وبعض الآباء يقولون لأبنائهم: [افعلوا ما شئتم ولكن لا تشركوا الصلاة، ولا تجلبوا لنا المشكلات]، وبعضهم قال لي ما معناه: [نحن مهتما فعلنا وعصينا وعرفنا في الحرام فالحمد لله؛ لأننا مُحافظون على الصلاة]، وتسمُّع العديد منهم يقول لأبنائه: [صلُّوا]، والأبناء لا يعرفون من الصلاة إلا تلك الحركات التي يقومون بها خمسَ مرَّاتٍ في اليوم واليلة، والأب لم يتفرَّغ

¹ عبد الكريم يونس الخطيب (1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج11، ص571،

بتصرف

² مالك، الموطأ، باب وثُوت الصلاة، رقم الحديث: 6

³ بيوض، في رحاب القرآن، ج11، ص286، بتصرف

لِتَعْلِيمِ أُنْبَاءِهِ كَيْفِيَّةَ أَدَاءِ الصَّلَاةِ وَشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَنَوَاقِصِهَا وَسُنَنِهَا وَمَكْرُوهَاتِهَا وَمُبَاحَاتِهَا، فَبَسَّسَ التَّوْبَةَ تِلْكَ.

لَوْ كَانَتْ الصَّلَاةُ مُجَرَّدَ أَدَاءٍ لِبَعْضِ الْحَرَكَاتِ كَمَا يَظُنُّ الْجَاهِلُونَ لَمَا رَدَّ النَّبِيُّ ﷺ - رَجُلًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لِيُعِيدَ صَلَاتَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»¹، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ بِأَنَّهُ لَا يُحْسِنُ غَيْرَ هَذِهِ الصَّلَاةِ عَلَّمَهُ الطَّرِيقَةَ الصَّحِيحَةَ لِلصَّلَاةِ، وَلَمَّا قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ حِينَ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي يَعْثُ بِلَحِيَّتِهِ: [لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا سَكَتَتْ جَوَارِحُهُ]²، وَلَمَّا شَدَّدَ الْمُعَلِّمُ الْأَعْظَمُ - | - عَلَى أَقْوَامٍ يَلْتَفِتُونَ فِي الصَّلَاةِ، وَيَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ أَثْنَاءَ تَأْدِيتِهَا حَيْثُ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ»؟! وَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: «لَيَنْتَهَنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَيُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ»⁴، وَلَمَّا عُذِّبَ رَجُلٌ فِي قَبْرِهِ بِسَبَبِ عَدَمِ اسْتِثْبَائِهِ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَدَائِهِ لِلصَّلَاةِ دُونَ طَهَارَةٍ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ - | - عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزَهُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»⁵، وَلَوْ كَانَتْ كَمَا تَوَهَّمُ كَثِيرُونَ لَمَا قَالَ النَّبِيُّ - | - عَنِ الَّذِي لَا يُتِمُّ رُكُوعَ الصَّلَاةِ وَسُجُودَهَا: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ

(1) محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، بابُ وَجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَاةِ كُلِّهَا فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتْ، رقم الحديث: 757.

(2) محمد بن نصر المروزي (ت: 294هـ)، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق: د. عبد الرحمن الفيواني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1406هـ، باب اللَّعْبِ بِاللَّحْيَةِ فِيهَا تَرْكُ لِلْخُشُوعِ، رقم الحديث: 150.

(3) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَخَشَّعَ جَوَارِحُهُ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ يَصُولُ وَيَجُولُ فِي مَيَادِينِ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ وَالْأَفْكَارِ، فَعَلَى هَؤُلَاءِ أَنْ يُدْرِكُوا أَنْفُسَهُمْ بِاصْلَاحِ خَالِهِمْ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَى الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ، وَهَذَا الْحَالُ لَيْسَ دَاعٍ إِلَى الْغُرُورِ، وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ يَدْعُو إِلَى الشَّفَقَةِ عَلَى النَّفْسِ وَتَرْوِضِهَا وَتَهْدِيبِهَا وَتَعْوِيدِهَا عَلَى الْخُشُوعِ الْحَقِيقِيِّ.

(4) ابن حنبل، مسند أحمد، مسند أنس ابن مالك، رقم الحديث: 12065.

(5) (أبو داود) سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، باب الاستبراء من البول، رقم الحديث: 20.

صَلَاتُهُ؟ قَالَ: «لَا يَتِمُّ رُكُوعُهَا وَلَا سُجُودُهَا»¹. وهكذا غَابَتْ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَوَهِّمِينَ كَثِيرٌ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالصَّلَاةِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

وَلَا قَامَ الصَّلَاةِ صُورٌ أُخْرَى، مِنْهَا:

1- **المُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ، فَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] أَي:**
وَاطْبُؤْا وَذَاقُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ بِمَوَاقِيتِهَا وَحُدُودِهَا وَإِتِمَامِ أَرْكَانِهَا²، وَجَاءَ الْأَمْرُ بِالمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا فِي آيَاتٍ أُخْرَى وَأَحَادِيثٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنِ الْمُصْطَفَى - | -، مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ - | - أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلْفٍ»³.
وَفِي الْمُقَابِلِ جَاءَ وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ لِمَنْ يُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ، وَمِمَّا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْوَعِيدِ فِي مُؤَخَّرِ الصَّلَاةِ:

• **قَوْلُهُ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]. قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: [مَعْنَى {أَضَاعُوا الصَّلَاةَ}: أَخْرَوْهَا عَنْ وَقْتِهَا]⁴. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: [هُوَ أَلَّا يُصَلِّيَ الظُّهْرَ حَتَّى يَأْتِيَ الْعَصْرُ، وَلَا يُصَلِّيَ الْعَصْرَ حَتَّى تَغْرُبَ**

⁽¹⁾ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: 255هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ، باب في الذي لا يتم الركوع والسجود، رقم الحديث: 1328، وفي سنده عننة الوليد بن مسلم الدمشقي وهو مُدَلِّسٌ يُدَلِّسُ تَدْلِيسَ التَّسْوِيَةِ.

⁽²⁾ (نور الدين) عبد الله بن حميد السالمي (ت: 1332هـ)، معارج الآمال، تحقيق: إبراهيم بن علي بولروح وآخرون، مكتبة الإمام السالمي، بديّة، سلطنة عمان، 2010م، ج3، ص22-23.

⁽³⁾ ابن حنبل، مسند أحمد، رقم الحديث: 6576.

⁽⁴⁾ انظر: محمد بن علي الشوكاني (ت: 1255هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، ج3، ص339.

الشَّمْسُ¹.

قَالَ بِيُوض: [وَالْعِيُّ هُوَ غَضَبُ اللَّهِ وَسَخَطُهُ وَعَذَابُهُ الْأَلِيمُ، وَإِضَاعَةُ الصَّلَاةِ وَاتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ أَمْرَانِ مُتَلَازِمَانِ، فَلَا يُضَيِّعُ الصَّلَاةَ إِلَّا مُتَّبِعٌ لِلشَّهَوَاتِ، فَمُضَيِّعُ الصَّلَاةِ إِمَّا فِي شَهْوَةِ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ نَوْمٍ أَوْ لَعِبٍ أَوْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، وَإِذَا دَخَلَ أَحَدٌ فِي شَهْوَةٍ وَحَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَهَلْ يَتْرُكُهَا؟ كَلَّا، بَلْ هُوَ يَكْرَهُ الصَّلَاةَ لِأَنَّهَا جَاءَتْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَرُبَّمَا يَسُبُّهَا وَيَسُبُّ مَنْ سَنَّهَا وَمَنْ شَرَعَهَا أَوْ مَنْ دَعَا إِلَيْهَا، وَإِذَا دَعَاهُ أَحَدٌ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ عَدُوَّهُ اللَّدُّودَ، وَيَكُونُ فِي نَظَرِهِ رَجَعِيًّا مُتَأَخِّرًا مُنْحَطًّا يُوصَفُ بِالْأَوْصَافِ الْقَبِيحَةِ، بَيْنَمَا يُوصَفُ الْمُضَيِّعُ لِلصَّلَاةِ الْمُتَّبِعُ لِلشَّهَوَاتِ بِالْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ]².

• قَوْلُهُ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [٩]. قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ اللَّهِ هُنَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ؛ فَمَنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ أَوْ بِمَا شَابَهَا عَنْ الصَّلَوَاتِ فَإِنَّهُ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

• قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٥]. قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - عَنِ {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}، قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا³»، وَقَالَ ابْنُهُ مُصْعَبٌ: قُلْتُ لِسَعْدٍ: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}: أَهُوَ مَا يُحَدَّثُ بِهِ أَحَدُنَا نَفْسَهُ فِي صَلَاتِهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ السَّهْوُ أَنْ يُؤَخَّرَهَا عَنْ وَقْتِهَا⁴.

⁽¹⁾ (ابن عادل الحنبلي) عمر بن علي الدمشقي (ت: 880هـ)، الباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م، ج13، ص87.

⁽²⁾ بيوض، في رحاب القرآن، ج11، ص296، بتصرف يسير.

⁽³⁾ محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج30، ص440.

⁽⁴⁾ الطبري، جامع البيان، ج30، ص438.

2- **إِتْيَانُ الصَّلَاةِ بِأَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَأَطْيَبِ الرِّوَاقِ؛** فَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَبْنَ

ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَلْبَسَ الْجَمِيلَ الْمَشْرُوعَ وَالرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ رَمَزَانٍ مِنْ رُمُوزِ تَعْظِيمِ مَقَامِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -، وَبِالتَّالِي فَهُمَا يُسْهِمَانِ فِي أَدَاءِ الصَّلَاةِ كَمَا أَرَادَهَا اللَّهُ.

وَالنَّازِرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٣] يَرَى أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ فَسَادَ الْإِنْسَانِ فِي حَالِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ اسْتَشْنَى الْمُدَاوِمِينَ عَلَى الصَّلَاةِ - كَمَا أَرَادَهَا اللَّهُ -، وَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْاسْتِثْنَاءِ كُلُّ مَنْ أَدَّى الصَّلَاةَ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ.

وَالْإِنْسَانُ بِطَبْعِهِ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ طَغَى وَاسْتَأْثَرَ بِهِ وَامْتَنَعَ عَنِ الْعَطَاءِ إِلَّا نَادِرًا، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزِعَ وَيَسَّسَ وَتَذَمَّرَ وَتَسَخَّطَ، لَكِنَّ الصَّلَاةَ تُسَيِّطِرُ عَلَى هَذَا الطَّبْعِ وَتُلْجِمُهُ وَتُرَدِّدُهُ وَتُبَدِّدُهُ حَتَّى لَا يَكَادُ يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ، وَبِهَذَا يَبْقَى الْمُدَاوِمُ عَلَى صَلَاتِهِ ثَابِتًا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

قال أبو مسلم البهلاني في معرض كلامه عن قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]: [المُرَادُ بِالمَحَافِظَةِ فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ رِعَايَةَ جَمِيعِ شَرَائِطِهَا مِنْ طَهَارَةِ الْبَدَنِ وَالثُّوبِ وَالْمَكَانِ، وَمِنْ سِتْرِ الْعُورَةِ وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ وَالْإِتْيَانِ بِأَرْكَانِهَا وَأَبْعَاضِهَا وَهَيْئَاتِهَا، وَالِاحْتِرَازِ عَنْ مَفْسَدَاتِهَا مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَأَعْمَالِ اللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَالمَحَافِظَةِ مَفَاعِلَةً، وَمَوْقِعِ الْمَفَاعِلَةِ هُنَا إِمَّا لِأَنَّهَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْحَقِّ تَعَالَى، كَأَنَّهُ قِيلَ: احْفَظِ الصَّلَاةَ يَحْفَظُكَ الرَّبُّ - جَلَّ جَلَالُهُ - الَّذِي أَمَرَكَ بِالصَّلَاةِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَفِي الْحَدِيثِ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، وَإِمَّا لِأَنَّهَا بَيْنَ الْمُصَلِّيِ وَالصَّلَاةِ، فَمَنْ حَفِظَ الصَّلَاةَ حَفِظَتْهُ الصَّلَاةُ عَنِ الْمَنَاهِي وَحَفِظَتْهُ عَنِ الْفِتَنِ وَالْمَحَنِ]¹، وَقَالَ ابْنُ بَرَكَةَ: [فَالَّذِي يَنْبَغِي لِمَنْ قَصَدَ إِلَى الصَّلَاةِ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهَا بِأَوَّلِي الْجِهَاتِ فِيهَا، غَيْرَ مُتَشَاغِلٍ بِغَيْرِهَا وَلَا

(¹) (أبو مسلم البهلاني) ناصر بن سالم الرواحي (ت: 1340هـ)، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر، مكتبة مسقط، ط4، 1437هـ - 2016م، ج2، ص86، بتصرف.

متكاسل عن أداء فرضها... فالواجب على المرء أن يلقي علاقته قبل القيام إليها، ليقوم مُقبلاً بجوارحه عليها، مُنصرفِ الهمة إليها، منقطع الخواطر عن غيرها¹، فَوَصِيَّهٌ لُقْمَانَ لَا بُنْهَ بِإِقَامِ الصَّلَاةِ أَعْمَقُ مِمَّا يَتَصَوَّرُهُ الْبَعْضُ بِأَنَّهُ مُجَرَّدُ أَمْرٍ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا.

والصلاة لها فضائل عظيمة جدا في الدنيا والآخرة، ومن أعظمها: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ». قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا»² وأحاديث مشابهة له في المعنى، وسيأتي عدد من فضائل الصلاة في المطالب القادمة.

المطلب الأول: أثر إقام الصلاة على السلوكيات القلبية

للصلاة آثار عظيمة على القلب، منها:

- 1- تنمي في القلب تنزيه الله وتعظيمه وتقديسه وتوحيده من خلال توجيه سيدنا محمد المعروف وتكبيره الإحرام وألفاظ الركوع والسجود وتكبيرات الانتقال.
- 2- تسقي فيه شجرة الإخلاص لله تعالى من خلال توجيه سيدنا إبراهيم المشهور ومن خلال ألفاظ التشهد التي فيها: [التحيات لله والصلوات والطيبات].
- 3- تسوقه إلى حمد الله وشكره والثناء عليه من خلال آيات سورة الفاتحة.
- 4- تفسل فيه التوكل على الله والاستعانة به والاستبراء من الحول والقوة الشخصية واللجوء إلى حول الله وقوته من خلال لفظ الاستعاذة في الصلاة وآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

⁽¹⁾ (ابن بركة) عبد الله بن محمد الكندي (ت: 363هـ)، الجامع، تحقيق: أ. د. مصطفى بن صالح باجو، وزارة التراث والثقافة العمانية، مسقط، ج 2، ص 712، بتصرف.

⁽²⁾ صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب المَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمَحَى بِهِ الْخَطَايَا وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ، رقم الحديث: 1554

- 5- تُعزز فيه الشعور بالعبودية والطاعة لله، مما خلق عنده التواضع والانكسار، ويبعده عن الكبر والعجب والفخر المذموم والغطرسة.
- 6- تنفث في جنباته وزواياه الطمأنينة، لأنها مليئة بالأذكار، وقد قال الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].
- 7- تُحيي فيه الخوف والرجاء المُتَوَلِّدَيْنِ من الأذكار التي فيها، وهما جناحان يطير بهما المؤمن إلى مرضاة الله.
- 8- تذكره بمقام النبي محمد - | - العظيم من خلال ألفاظ التشهد [السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته] والصلاة عليه قبل السلام.
- 9- تُرَبِّيهِ على حب الصالحين ومودتهم من خلال ألفاظ التشهد [السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين].

المطلب الثاني: أثر إقام الصلاة على السلوكيات الفعلية

لا شك أن إقام الصلاة له آثار جليلة على أفعال العبد، من ذلك:

- 1- قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فهو رادع له عن كل الفواحش ما ظهر منها وما بطن كالزنا وعمل قوم لوط وغيرها، ومانع له من فعل المنكرات بشتى صورها من نظر للعورات واستماع للمحرمات وتدخلين وتناول للمؤثرات العقلية وذبح لغير الله، وغيرها الكثير مما لا يجوز فعله.
- 2- يساعده على تنظيم وقته وتوزيع أعماله اليومية.
- 3- يُنمي فيه الأخلاق الحميدة والأفعال المجيدة.
- 4- يُلبسه لباس الهيبة والوقار والسكينة في حركاته وسكناته.

المطلب الثالث: أثر إقام الصلاة على السلوكيات القولية

كما أن لإقام الصلاة أثرا على السلوكيات القلبية والفعلية للإنسان أيضا له أثر على سلوكياته القولية، ومن ذلك:

- 1- قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فالصلاة المقامة كما أراد الله تربط اللسان عن القول الفاحش البذيء من سب وشتيم وطعن ولعن وهمز ولمز وقذف وغيره، وتحبسه عن قول المنكرات من كذب وغيبة ونميمة وزور وبهتان وغناء وغيره.
- 2- إقام الصلاة يعود اللسان على كثرة ذكر الله بصنوف الذكر المختلفة.
- 3- يربي اللسان على الكلام الجميل الحسن المرتضى.
- 4- يجعل الإنسان يلهج بدعاء الله والتضرع والابتهال إليه وكثرة الطلب منه وسؤاله.

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية

سأتكلم في هذا المبحث عن أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سلوكيات الإنسان القلبية والفعلية والقولية، فقد دعا لقمان ابنه إلى ذلك قائلا: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٧]، وهذا واجب من واجبات الدين على كل إنسان حسب استطاعته وقدرته، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَ الْمُنْكَرَ بِيَدِهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَوْفَرُ الْإِيمَانِ. ومن المعلوم أن المعروف هو كل ما استحسنته الشرع ودعا إليه، والمنكر هو كل ما استقبحه الشرع واستهجنه وزجر عنه ومنعه.

ومن الْمُخْزِنِ أَنْ نَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ أَهْمَلُوا هَذَا الْوَاجِبَ وَلَمْ يَقُومُوا بِهِ، فَسَبَبِ تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ يَنْتَشِرُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْفَسَادُ وَالرَّذَائِلُ وَتَضْمَحِلُّ فِيهِ نِسْبَةُ الرَّشَادِ وَالْفَضَائِلِ، وَيُشَاعُ الْمُنْكَرُ وَيُطْمَسُ الْمَعْرُوفُ فِيهِ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ، وَقَدْ عَلَّمْنَا أَنَّهُ ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩]، ومن المعروف أَنَّهُ حِينَ انْقَسَمَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَى ثَلَاثِ فِئَاتٍ:

1- فِئَةٌ أَمَرَةٌ بِالْمَعْرُوفِ نَاهِيَةٌ عَنِ الْمُنْكَرِ

2- وَفِئَةٌ سَاكِنَةٌ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، لَا نِيمَةَ لِلْفِئَةِ الْأُولَى

3- وَفِئَةٌ عَاصِيَةٌ مُسْتَرْسِلَةٌ فِي الْمُنْكَرَاتِ

لَمْ يَنْجُ مِنْهَا حِينَ نَزَلَ الْعَذَابُ إِلَّا الْفِئَةُ الْأُولَى فَقَطْ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٤ - ١٦٥].

وعلى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْمُرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يَنْهَى عَنِ مُنْكَرٍ أَنْ يَنْتَبِهَ لِعِدَّةِ أُمُورٍ، مِنْهَا:

❖ اسْتِحْضَارُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَطَلَبُ مَرْضَاتِهِ بِالْقِيَامِ بِهَذَا الْوَاجِبِ.

❖ الاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ كَيْ يُوَفِّقَهُ لِيَكُونَ سَبَبًا فِي فِعْلِ مَعْرُوفٍ أَوْ تَرْكِ مُنْكَرٍ.

❖ تَحَرِّي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الْمُنَاسِبَيْنِ لِلْقِيَامِ بِذَلِكَ.

❖ اسْتِحْدَامُ الْأُسْلُوبِ الْحَسَنِ وَالْأَلْفَاظِ الطَّيِّبَةِ. [وهذا ليس دائما؛ فأحيانا قَدْ يَضْطَرُّ الْحَاكِمُ

إِلَى اسْتِحْدَامِ السُّوْطِ، وَقَدْ يُلْجَأُ أَيْضًا إِلَى الْهَجْرِ وَالْمُقَاطَعَةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ].

❖ عَدَمُ الاسْتِحْضَارِ فِي الْقَلْبِ أَوْ الْإِظْهَارِ فِي الْكَلَامِ أَنَّهُ (الْأَمْرُ أَوْ النَّهْيُ) أَفْضَلُ مِنَ الْمُخَاطَبِ

(الْمَأْمُورِ أَوْ الْمَنْهَى).

❖ استحضار حقيقة أنه ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء، فهذا الأمر الناهي لا يملك الهداية لأحد، إنما الهادي هو الله - جلّ جلاله -.

❖ عدم اليأس، وإنما عليه إعادة المحاولات كرات ومرات في أوقات متفرقات بأساليب متنوعات.

❖ العلم بالمعروف والمنكر.

❖ أن يكون سباقاً إلى فعل المعروف وترك المنكر.

هذا، وإن أولى الخلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي نفسه التي بين جنبيه التي تسعى في الدنيا لإفساده وفي الآخرة لإهلاكه، وعن الخير والتجّاح لإفعاذه، وإلى الشر والخسران لإرشاده؛ فلينبه العاقل لأفعاله وأقواله ونياته في سرّه وإعلانه، وليحرص على صلاح أحواله، وليسع إلى النجاة من المهالك في يوم لا ينفعه فيه آباؤه ولا أبنائهم ولا إخوانه ولا خلانته ولا جيرانه.

المطلب الأول: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السلوكيات القلبية

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له آثار جميلة على سلوكيات الإنسان القلبية، منها:

1- يُنبّه القلب الغافل ويجعله أكثر انتباهاً وبقظة، فينبعث إلى التخلية عن الرذائل من كبر وغرور وعجب وحسد وحقد وبغض للمؤمنين وغيرها من الخصال القلبية الذميمة، والتخلية بالفضائل من تعظيم الله والانقياد له والتوكل عليه والرضا بقدره وتفويض الأمور إليه وموالاتة المؤمنين وغيرها من الخصال القلبية الحميدة.

2- يحث القلب إلى التفكير والتأمل ومحاسبة النفس والعمل عليها حارساً ورقياً.

3- يوازن بين الخوف والرجاء لئلا يطغى أحدهما على الآخر فيقع الإنسان في محذور.

4- يزرع الخوف من العقاب الدنيوي في قلوب المجرمين وأشباههم ممن لا يرجون الآخرة، فيجعلهم يترددون قبل الإقدام على الفعل المستوجب للتعزير بشتى صوره أو إقامة حد من الحدود الشرعية، وهذا الخوف بحد ذاته يقلل انتشار المنكرات.

5- يزرع التعظيم لشعائر الله في قلوب المؤمنين.

المطلب الثاني: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السلوكيات الفعلية

كما أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثارا على سلوكيات الإنسان القلبية فهو له آثار على السلوكيات الفعلية أيضا، ومن ذلك:

1- يقود الناس إلى فعل الخير والمحافظة على الفرائض والسنن والنوافل والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

2- يردع الناس عن الوقوع في أعمال الشر وترك الفرائض والسنن والنوافل والتخلق بالأخلاق الفاسدة.

3- يحث السلاطين والقضاة وسائر ولاة الأمور إلى تطبيق حكم الله في سائر شؤون الحياة وأحداثها والشجارات والخصومات التي بين الناس.

4- يزرع المجرمين الذين ماتت ضمائرهم عن ارتكاب الجرائم من قتل ونهب وسلب وترويع وزنا وغيرها خوفا من العقاب الدنيوي، فيجعلهم أقل إجراما وإفسادا وطغيانا.

المطلب الثالث: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السلوكيات القولية

لا بد أن تكون ثمة آثار للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أقوال الإنسان، ومن ذلك:

1- يجعل الإنسان كثير الذكر لله بصنوف الذكر المتنوعة في ليله ونهاره، سره وجهره، حضره وسفره.

2- يحث المؤمن على قول كل خير ومفيد.

3- تمنع المؤمن من قول السوء والشر والكلام البذيء المؤذي والجرح، والذم بشتى صوره وأشكاله.

المبحث الثالث: الصبر على المصائب وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية

سأتكلم في هذا المبحث عن الصبر على المصائب وأثره على سلوكيات الإنسان، فهو وصية من وصايا لقمان لابنه، حيث قال له: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، سواء كان ما يصيب الإنسان من الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو ما يصيبه من البلوى في سائر شؤون حياته، وبالصبر أمر الله نبيه محمدا **أ** قائلا له: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، وأمر المؤمنين به قائلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وامتدح الرسل بقوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وقوله حكاية عنهم مقاتلتهم لأقوامهم: ﴿وَلَصَّابِرِينَ عَلَى مَا ءَازَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: ١٢]، وامتدح المؤمنين بقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، وبين لنا أنه يُحبهم بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وأنه معهم بالنصر والتأييد والتسديد بقوله: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٤٦]،

[٤٦]، وأن التواصي بالصبر صفة من صفات المؤمنين، فقد أخبرنا عن النبي موسى أنه قال لقومه: ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وأن التواصي بالصبر سبب من أسباب الفوز والفلاح قائلا: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر: ١ - ٣]، وأخبرنا عن جزاء الصابرين ومآلهم في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١١﴾ [هود: ١١]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٢ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ ٢٣ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٤ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٥﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤]، وقوله: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ١١١﴾ [المؤمنون: ١١١]، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ٧٥﴾ [الفرقان: ٧٥]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ ٥٨﴾ [العنكبوت: ٥٨ - ٥٩]، وقوله: ﴿وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ١٥ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ١٨ وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ٢٠ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ٢٢﴾ [الإنسان: ١٢ - ٢٢].

فأمُرُ الله أنبياءه وعباده بالصبر وحثُّ الأنبياء أقوامهم بالتشبث به وتواصي المؤمنين بينهم بملازمته والنعيم الذي أعدّه الله للصابرين، كل ذلك يدل على أهمية الصبر ومنزلته الرفيعة في سائر الأزمان والشرائع.

وهذه الحياة مليئة بتقلبات الأحوال، فاليوم فلان حي وغدا ميت، واليوم صحيح وغدا سقيم، واليوم آمن وغدا خائف، واليوم شبع وغدا جائع، واليوم غني وغدا فقير، واليوم قادر وغدا عاجز، فالدنيا لا يدوم حالها لأحدٍ ولكن تتغير وأهلها يتغيرون وتغيرهم أحوال متنوعة، فقد يصاب المرء في نفسه بمرضٍ أو خوفٍ أو غيره، وقد يصاب في ماله بسرقةٍ أو خسارةٍ في صفقةٍ أو تجارةٍ أو ما شابه، وقد يصاب في أهله وأحبابه بموتٍ بعضهم أو مرضهم، وقد يصاب بسنائه بجائحةٍ تجعله كالصريم، أو يغور ماءً يثره فلا يجد إلى استخراجهِ سبيلاً؛ فتموت الأشجار وتنعدم الثمار، وقد تعصف به مشكلات الحياة فتخلف وراءها زكاً من الأفكار المشوشة المتضاربة، وتغرس فيه همّاً وعمّاً يتملّكانه في أوقات كثيرة؛ فعليه أن يقف على ثغور قلبه ضدّها صابراً مصابراً مُرابطاً لا سيماً في وقت الصلاة؛ إذ كيف سيخشع إذا لم يصبر على مدافعة هذه الأفكار؟! وكيف سيحس بمداق الصلاة الحلو الرائع وجوها المنعش المانع إذا جعل أبواب قلبه مفتوحة لكلّ وسوسة ودعاية وفكرة؟! وقد أمر بإقام الصلاة، وأعظم عمود للصلاة هو الخشوع، وهذا العمود يحتاج صبراً وضموذاً تجاه التيارات التي تعصف به، وقد تهاجم عليه فتن الدنيا وتكالب عليه مغربائنها، فيرى أن زيّداً الذي كان مؤمناً في الصباح أمسى كافراً، ويصدّم صباحاً بأن عمراً الذي قد بات مؤمناً أضحى كافراً، باع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل، فتمور نفسه ويضطرب عقله ويرى حاله كأنه قابضٌ على جمرة، فيذكر حينها أن عليه أن يتحلّى بالصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته ابتغاء مرضاته - جلّ جلاله -، وقد يسعى لتحقيق أهدافٍ وطموحاتٍ وضعها لنفسه سواء كانت دنيويةً أو أخرويةً، ولكن الطريق إلى تحقيقها مليءٌ بالحواجر والعقبات والأشواك والمطبات، وقد تربّصت به فيه أنواعٌ وألوانٌ من المحبّطات والمثبّطات، فعلى كلّ صادقٍ في مراده ومبتغاه أن يتخطّاها جميعاً ولا يستسلم لها، وأن يكمل مشواره مهما سقط وتعثر، وعليه أن يواجه المصاعب والمتاعب بصبرٍ شديدٍ وتصرفٍ رشيدٍ، وقد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكرٍ وإذ به يفاجأ بمن يؤذيه بلسانه أو يده، وقد لا يجد ناصرًا ولا معينًا ولا مستجيبًا فعليه أن يصبر حتى يأتي الله بأمره.

المطلب الأول: أثر الصبر على المصائب على السلوكيات القلبية

إن الذي يلبس درع الصبر ملازماً له مُواجهها به عواصف الحياة وزعازعها سيتأثر قلبه بذلك مما سيخلق فيه سلوكيات حميدة، منها:

- 1- سيكون راضياً بما يفعل الله به ويقدره له ويسوقه إليه، غير ساخط ولا متذمر.
- 2- لن يملك سوى التسليم والانقياد لله عز وجل في سائر الأمور.
- 3- سيفوض أموره إلى مدبر الأمور ومصرفها العليم الخبير.
- 4- سيعتمد على الله وسيحسن الظن به ولن ييأس.
- 5- سيكون مطمئناً ساكناً هادئ البال.
- 6- سيزداد عزيمة وإصراراً على المضي قدماً في تحقيق غايته.

المطلب الثاني: أثر الصبر على المصائب على السلوكيات الفعلية

إن للصبر آثاراً محمودة كثيرة على تصرفات الإنسان وأفعاله، منها:

- 1- تجده مُجتهداً في الطاعات والقربات والصالحات من فرائض وسنن ونوافل، وقد يكون في شدة المرض أو منتهى الشيب والوهن إلا أنه لا ينقطع، وإن أصابه فتور فإنه لا يطول، وإذا به يرجع أنشط مما كان وأكثر اجتهاداً.
- 2- إذا نادى منادي الجهاد والتقت الجموع وحمي الوطيس وثار الغبار وطارت الرؤوس وقطعت الأعضاء وتعالى الصياح فإنه يبقى صوّلاً جوّالاً في وسط المعركة، مُقبلاً غير مُدبر، كارعاً غير فارّ.
- 3- إذا تبرّجت له الدنيا وتمايلت بين يديه الفتن ودعته إلى حضنها الشهوات وتلاعبت بأفكاره المغريات فإنه يظل ثابتاً على الحق والصواب غير متزعزع ولا متلجلج.
- 4- يرباط على بر والديه وخفض الجناح لهما وإن كانا غير صالحين ورأى منهما السوء والعذاب والنكال.

- 5-** لا ينشئ عن صلة أرحامه والإحسان إليهم والحلم عنهم وإن كانوا يقابلونه بالقطيعة والإساءة والجهالة.
- 6-** يكظم غيظه ويعفو عن الناس عند المقدرة ولا يعرف الانتقام والتشفي.
- 7-** لا يبدر منه أي فعل يُغضب الله في حال وقوع مصيبة في نفسه أو ماله أو ولده أو أحبائه، لا سيما لطم الخدود عند النساء وشق الجيوب وإهالة التراب ونفش الشعور وغيرها من أفعال الجاهلية.
- 8-** تراه مرابطاً على طلب العلم قراءة واستماعاً، ويرحل في طلبه ويجالس العلماء ويصاحب طلبة العلم، التعلم سجيته وعادته في ليله ونهاره، حله وسفره، صحته وسقمه، يسره وعسره.
- 9-** لا ينشئ عن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر استطاعته مهما واجه من الأذى والإساءة، سواء كانت باللسان كالتكذيب والسب والشتيم والهمز والنبز والطعن، أو بالفعل كاللمز والضرب والجفاء والهجران وعدم القبول.

المطلب الثالث: أثر الصبر على المصائب على السلوكيات القولية

إن الناظر إلى الصبر ونتائجه يدرك أن للصبر آثاراً على أقوال الإنسان، ومن تلك الآثار:

- 1-** حين تصيبه مصيبة لا يتكلم إلا بما يرضي الله، خاصة عند الصدمة الأولى.
- 2-** إذا أساء إليه أحدهم بلسانه بأي صورة من صور الإساءة فإنه يرد بالتي أحسن ولا يقول ما يغضب الله.
- 3-** إذا دعت امرأة ذات حسن ومالٍ إلى الحرام قال: إني أخاف الله.

تنبيه:

بَعْدَ انْتِهَاءِ لُقْمَانَ مِنْ حَضِّ ابْنِهِ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصَّبْرِ

عَلَى مَا يُصِيْهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَوْضَحَ لَهُ أَنَّ هَذِهِ السُّلُوكِيَّاتِ مِنَ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا¹ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] أي: مِنْ حَزْمٍ وَخَيْرِ الْأُمُورِ²، وَمِنْ الْأُمُورِ الْمَقْطُوعِ بِهَا مِنَ اللَّهِ إِيْجَابًا، وَلَمْ يَجْعَلْهَا نَدْبًا أَوْ اخْتِيَارًا مِنْكُمْ³. وَالْحَزْمُ: مِنْ إِحْكَامِ الشَّيْءِ وَإِتْقَانِهِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ مُحْكَمِ الْأُمُورِ وَمُتَقَنِّهَا؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا حُزِمَ وَشُدِّدَ يُؤْمَنُ عَنْ سُقُوطِهِ وَذَهَابِهِ⁴.

أي: إِنَّ ذَلِكَ الَّذِي أُوصِيكَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ مَحْتُمَةً عَلَى عِبَادِهِ لَا مَحِيصَ مِنْهَا؛ لِمَا لَهَا مِنْ جَزِيلِ الْفَوَائِدِ وَعَظِيمِ الْمَنَافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ تَجَارِبُ الْحَيَاةِ، وَأُرْشِدَتْ إِلَيْهِ نُصُوصُ الدِّينِ⁵، وَإِذَا قَلَّ حَظُّ الْإِنْسَانِ مِنَ الصَّبْرِ فَلَنْ يَجِدَ الْعَزْمَ الَّذِي يُمِضِي بِهِ التَّكَالِيفَ وَيَقْضِي بِهِ الْحُقُوقَ⁶.

قَالَ الرَّمَحْشَرِيُّ: [وَقَوْلُهُمْ: عَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا. وَمِنْهُ: عَزَمَاتُ الْمُلُوكِ. وَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ الْمَلِكُ لِبَعْضِ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا فَعَلْتَ كَذَا. إِذَا قَالَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِلْمَعْزُومِ عَلَيْهِ بُدٌّ مِنْ فِعْلِهِ وَلَا مَنَدُوحَةٌ فِي تَرْكِهِ.

وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّهُ مِنْ تَسْمِيَةِ الْمَفْعُولِ بِالْمَصْدَرِ، وَأَصْلُهُ مِنْ مَعْزُومَاتِ الْأُمُورِ، أَي: مَقْطُوعَاتِهَا وَمَفْرُوضَاتِهَا... وَنَاهِيكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ مُؤَذِّنَةً بِقَدَمِ هَذِهِ الطَّاعَاتِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ مَأْمُورًا بِهَا فِي سَائِرِ

(1) انظر: الحسين بن مسعود البغوي (ت: 516هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج3، ص589.

(2) انظر: (الفيروز آبادي) محمد بن يعقوب الشيرازي (ت: 816هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1435هـ - 2014م، ص433.

(3) (أَطْفَيْشُ) مُحَمَّدٌ بْنُ يُوْسُفَ (ت: 1332هـ)، تيسير التفسير، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1439هـ - 2018م، ج11، ص181.

(4) تفسير الماتريدي، ج8، ص307.

(5) أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365 هـ - 1946 م، ج21، ص85.

(6) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج11، ص571.

الْأُمَمِ، وَأَنَّ الصَّلَاةَ لَمْ تَزَلْ عَظِيمَةً الشَّأْنِ، سَابِقَةً الْقِدَمِ عَلَى مَا سِوَاهَا، مُوصَى بِهَا فِي الْأَذْيَانِ كُلِّهَا¹.

¹محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج3، ص497.

| ó ø ì ÷ ¥ | ð ã ñ Æ ã³ ð ¥ | Ê û | ð ð ì ÷ ¥

¬ ÷ ð ÷ ¥ ¬ ø ä ì ÷ ¥ ¬ ª ø ð ÷ ¥

سأتكلم في هذا الفصل عن القصد في المشي وغض الصوت وأثرهما على سلوكيات الإنسان القلبية والفعلية والقولية، وسيكون تقسيم الكلام كالآتي:

- المبحث الأول: القصد في المشي وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية
- المطلب الأول: أثر القصد في المشي على السلوكيات القلبية
- المطلب الثاني: أثر القصد في المشي على السلوكيات الفعلية
- المطلب الثالث: أثر القصد في المشي على السلوكيات القولية
- المبحث الثاني: غض الصوت وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية
- المطلب الأول: أثر غض الصوت على السلوكيات القلبية
- المطلب الثاني: أثر غض الصوت على السلوكيات الفعلية
- المطلب الثالث: أثر غض الصوت على السلوكيات القولية

المبحث الأول: القصد في المشي وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية

لم يكتف لقمان بحث ابنه على لزوم العقيدة السليمة والمحافظة على العبادات، بل حضه على الأخلاق الحسنة، وقبل ذلك نهاه عن الأخلاق السيئة حيث قال له: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، والصَّعْرُ: ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين، والتَّصْعِيرُ إمالة الخدّ عن النظر إلى النَّاسِ تهاوناً من كِبَر وعظمة كأنه مُعْرَضٌ¹، وقيل الصَّعْرُ داءٌ يأخذ البعير فيلوي منه عُنُقَهُ ويُمِيلُهُ²، والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتفسير من الحركة المشابهة للصَّعْر³، فَهَيَّ لِقْمَانُ ابْنَهُ عَنْ إِمَالَةِ وَجْهِهِ عَنِ النَّاسِ حِينَ يُكَلِّمُهُمْ أَوْ يُكَلِّمُوهُ اسْتِكْبَاراً عَلَيْهِمْ وَاحْتِقَاراً لَهُمْ. قال القشيري: وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ مَوْلَاهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لَا يَتَكَبَّرُ وَلَا يَتَطَاوُلُ، بَلْ يَتَخَاضِعُ وَيَتَضَاعَلُ⁴.

وَتَصْعِيرُ الْخَدِّ يَحْتَمِلُ مَعَانِي عِدَّةً⁵ كُلُّهَا مَذْمُومَةٌ، مِنْهَا:

- 1- إِعْرَاضُ الْوَجْهِ عَنِ النَّاسِ تَكْبَرًا.
- 2- التَّشْدُّقُ فِي الْكَلَامِ أَوْ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.
- 3- أَنْ يَلُوي شِدْقَهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْإِنْسَانِ احْتِقَاراً لَهُ.
- 4- أَنْ يُعْرَضَ عَمَّنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ إِحْنَةً هَجْراً لَهُ.

⁽¹⁾الخليل بن أحمد، العين، باب العين والصاد والراء معهما، مادة: (صعر)

⁽²⁾ابن منظور، لسان العرب، مادة: (صعر)

⁽³⁾سيد قطب (ت: 1386هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط37، 1429هـ - 2008م، م5، ص2790

⁽⁴⁾(القشيري) عبد الكريم بن هوازن (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، ج3، ص142.

⁽⁵⁾انظر: الماوردي: التُّكَّت والعُيُون، ج4، ص339

قال سيد قطب: [والمشي في الأرض مرحاً هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس، وهي حركة كريهة يُمقّتها الله ويمقّتها الخلق، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات يتنفس في مشية الخيلاء]¹، وعلل له سبب نهيه إياه عن هذه الأخلاق الفاسدة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، فالله - عزَّ وجلَّ - لا يُحِبُّ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ مُتَبَاهٍ فِي نَفْسِهِ وَهَيْئَتِهِ، وَيَكْرَهُ مَنْ دَيَّدَنَهُ الْاِفْتِخَارُ عَلَى النَّاسِ بِحَسَبِ أَوْ جَاهٍ أَوْ نَسَبٍ أَوْ مَنْقَبَةٍ أَوْ مَنْصِبٍ أَوْ فَصَاحَةٍ أَوْ جَمَالٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَإِذَا لَمْ يُحِبَّهُ اللَّهُ يُنْزَعُ عَنْهُ الْقَبُولُ فَتَكْرَهُهُ الْمَخْلُوقَاتُ وَيُصْبِحُ مَبْغُوضًا مَبْذُومًا، وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ إِنْسَانٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يُحِبُّ مَنْ يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ وَيَحْتَقِرُهُ، فَعَلَى الْعَاقِلِ الرَّشِيدِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ الذَّمِيمَةِ وَأَنْ لَا يَزْرَعَهَا فِي قُلُوبِ أَبْنَائِهِ، وَإِذَا شَمَّ رَائِحَتَهَا تَبَعَتْ مِنْ أَحَدِهِمْ فَعَلَيْهِ أَنْ يُرْشِدَهُ وَيُوجِّهَهُ وَيُحَاوِلَ اسْتِصَالَهَا بِأَحْسَنِ الطَّرِيقِ وَالطَّفَفِهَا لَا بِأَسْوئِهَا وَأَعْنَفِهَا.

فتصغير الخد والتبختر في المشي والافتخار من صور الكبر الذي حرّمه الله في سائر الأزمان والشرائع، ولا يجوز لإنسان أن يتصف بشيء من صفات الكبر؛ إذ الكبرياء لله وحده، والناس كلهم فقراء إليه.

قَالَ صَدِيقُ خَانَ الْقَنُوجِي: [وَالْفَخُورُ هُوَ الَّذِي يَفْتَخِرُ عَلَى النَّاسِ بِمَا لَهُ مِنَ الْمَالِ وَالشَّرَفِ أَوْ الْقُوَّةِ، أَوْ يُعَدِّدُ مَنَاقِبَهُ تَطَاوُلًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، وَيَظُنُّ أَنَّ إِسْبَاغَ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ وَذَلِكَ مِنْ جَهْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَسْبَغَ نِعَمَهُ عَلَى الْكَافِرِ الْجَاحِدِ، فَيَنْبَغِي لِلْعَارِفِ أَنْ لَا يَتَكَبَّرَ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَيْسَ مِنَ الْاِفْتِخَارِ التَّحْدِيثُ بِنِعَمِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}]².

⁽¹⁾ سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ص1790

⁽²⁾ صديق بن حسن القنوجي (ت: 1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1412هـ - 1992م، ج10، ص288.

وَقَالَ قُطْبُ الْأَئِمَّةِ: [وَمَنْ عَدَّ مَالَهُ أَوْ نَحْوَهُ عَلَى جِهَةِ الشُّكْرِ فَلَيْسَ فَخُورًا إِلَّا إِنْ عَنِ الْعُلُوِّ عَلَى غَيْرِهِ فَفَخْرٌ وَلَوْ ادَّعَى الشُّكْرُ، وَقَدْ أَبْطَلَ مَا تَوَهَّمَهُ شُكْرًا، وَمَنْ عَدَّ ذَلِكَ وَلَمْ يَقْصِدْ عُلوًّا وَلَا شُكْرًا فَلَيْسَ مُفْتَخِرًا]¹.

وَقَالَ الرَّازِي: [لَمَّا أَمَرَهُ بِأَنْ يَكُونَ كَامِلًا فِي نَفْسِهِ مُكَمَّلًا لِغَيْرِهِ وَكَانَ يَخْشَى بَعْدَهُمَا مِنْ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: التَّكَبُّرُ عَلَى الْغَيْرِ بِسَبَبِ كَوْنِهِ مُكَمَّلًا لَهُ **وَالثَّانِي: التَّبَخُّرُ فِي النَّفْسِ بِسَبَبِ كَوْنِهِ كَامِلًا فِي نَفْسِهِ قَالَ لَهُ: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} تَكَبُّرًا {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} تَبَخُّرًا {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ}** يَعْنِي: مَنْ يَكُونُ بِهِ خِيَلَاءٌ، وَهُوَ الَّذِي يَرَى النَّاسَ عَظَمَةً نَفْسِهِ وَهُوَ التَّكَبُّرُ {فَخُورٌ} يَعْنِي: مَنْ يَكُونُ مُفْتَخِرًا بِنَفْسِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَرَى عَظَمَةً لِنَفْسِهِ فِي عَيْنِهِ]².

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى كَمَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: [وَلَا تَمْشِ لِأَجْلِ الْمَرَحِ وَالْأَشْرِ، أَيْ: لَا يَكُنْ غَرَضُكَ فِي الْمَشْيِ الْبَطَالَةَ وَالْأَشْرَ كَمَا يَمْشِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لِذَلِكَ، لَا لِكِفَايَةِ مُهِمِّ دِينِي أَوْ دُنْيَوِي]³.

وكل هذه الصفات الذميمة لا تورث سوى الأحقاد والضغائن والتدابير والتباغض والتقاطع والتناحر، وتنشئ مجتمعاً متفككاً هزئياً ضعيفاً، وفي المقابل للقصد في المشي آثار حميدة على السلوكيات، سأتكلم عنها في المطالب القادمة.

والقصد في المشي التوسط والاعتدال فيه، فلا يُسْرَعُ إِسْرَاعَ الْعَوَاصِفِ وَلَا يُبْطِئُ إِبْطَاءَ السَّلَاحِفِ، فَقَدْ تَحَقَّقَ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ قَاطِبَةً أَنَّ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا.

⁽¹⁾ اطفيش: تيسير التفسير، ج11، ص182

⁽²⁾ (فخر الدين) محمد بن عمر الرازي (ت: 605هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج22، ص122.

⁽³⁾ الزمخشري: الكشاف، ج3، ص497

قال ابن منظور: [وقصد فلان في مشيه إذا مشى مستويًا]¹، وقال مرتضى الزبيدي: القصد في الشيء: ضد الإفراط وهو ما بين الإسراف والتفتير... وقصد في الأمر: لم يتجاوز فيه الحد ورَضِيَ بالتوسط... واقتصد في أمره: استقام]².

وَقُرِئَ: {وَأَقْصَدُ} بِهَمْزَةِ الْقَطْعِ، أَي: سَدَّدَ فِي مَشْيِكَ؛ مِنْ أَقْصَدَ الرَّامِي إِذَا سَدَّدَ سَهْمَهُ نَحْوَ الرَّمِيَّةِ³.

قال سيد قطب: [ومع النهي عن مشية المرح بيان للمشية المعتدلة القاصدة، والقصد هنا من الاقتصاد وعدم الإسراف وعدم إضاعة الطاقة في التبخر والتشي والاختيال، ومن القصد كذلك لأن المشية القاصدة إلى هدف لا تتلكأ ولا تتخايل ولا تتبخر، إنما تمضي لقصدها في بساطة وانطلاق]⁴، وبهذا يكون أمره بالقصد في المشي دعوة إلى لزوم التواضع والوقار والسكينة والتؤدة ولين الجانب للناس.

المطلب الأول: أثر القصد في المشي على السلوكيات القلبية

إن للقصد في المشي آثارا بديعة على قلب الفاعل والناظر إليه، ومن ذلك:

1- إذا نظرنا للقصد بمعنى التوسط في المشي بين الإسراع والإبطاء فإن هذا السلوك يملأ قلب صاحبه سكينة وراحة وطمأنينة، وينثر على قلب من يراه الراحة والهدوء والاطمئنان والثقة، أما إذا كان يسرع في مشيه فقد يثير الخوف والهلع في قلب بعض من يراه؛ لأنهم

⁽¹⁾ ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصد)

⁽²⁾ مرتضى الزبيدي (ت: 1205هـ)، محمد بن محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس،

<http://www.alwarraq.com>، مادة: (قصد)

⁽³⁾ الزمخشري، الكشاف، ج3، ص398، بتصرف

⁽⁴⁾ سيد قطب، في ظلال القرآن، م5، ص2790

قد يتوقعوا من مشيته حدوث أمر محذور وقد يستنهض الشك والريبة من قلوب بعضهم في موضع آخر لأنهم قد يتوقعوا وقوع المُسرّع في أمر محذور، كما أنه قد يظن آخرون بأن هذا المُسرّع يشغله ويقلقه أمر هام عاجل.

2- ولكن في المقابل إذا كانت ثمة مهمة عاجلة ضرورية تستدعي الإسراع فإن قلوب بعض الناس وأنظارهم ستتوجه إلى ذلك الشخص المعروف بسرعته الفائقة لأداء المهمة، وهذه من إيجابيات الإسراع في المشي.

3- والإبطاء قد يجعل بعضهم يظن أن ذلك الشخص كسول متقاعس لا يصلح لأداء الأعمال وإنجاز المهام.

4- وإذا نظرنا له بمعنى المشي مُستَوياً فإنه ينشر في قلوب ناظره المحبة والاحترام والتقدير.

5- وإذا أخذناه بمعنى التواضع والتؤدة ولين الجانب فإن نور الإيمان سيزداد في قلبه، وستسكنه الرقة والرحمة والشفقة وحب الخير للناس، كما أنه سينال رضا كثير من الناس ومحبتهم واحترامهم وتقديرهم - بالرغم من أن ذلك ليس هدفاً له ولا غاية يسعى إليها -.

6- وإذا أخذناه بمعنى القصد نحو هدف والسعي إليه فإنه يجعل قلب الإنسان منصرفاً إلى ذلك مشغولاً به منقطعاً عن سواه.

المطلب الثاني: أثر القصد في المشي على السلوكيات الفعلية

هذا السلوك له أثر على أفعال الفاعل وأفعال الناظرين، ومن ذلك:

1- إذا كان التواضع ولين الجانب والتواطؤ سجية المرء فإن ذلك سيستثير الناس إلى إجلاله وتقديره ومشاورته والاعتماد عليه ومخالطته ومجالسته ومسايرته وخدمته، وهذا سيدفعه للمزيد من الإحسان وحميد الفعال ابتغاء مرضاة الكبير المتعال.

- 2- وإذا جئناه من زاوية التوسط في المشي فإن الإسراع إذا أثار الخوف في الناس فقد تضطرب أحوالهم وتختل تصرفاتهم ويتوقفوا عن مزاوله أعمالهم وينطؤوا في بيوتهم.
- 3- وإذا أثار فيهم الشك والريبة فقد يقوم بعضهم بالتجسس عليه والتجسس عنه وهمزه ولمزه، وقد تسوء معاملة بعضهم له بالجفاء والهجران والقطيعة وغيرها.
- 4- كما أنه أيضا قد يسبب قلة الانتباه مما سيسبب الاصطدام بإنسان أو حيوان أو جماد أو نبات، وهو الأمر الذي سيسبب ضررا في الاثنين أو أحدهما.
- 5- وإذا أخذناه بمعنى القصد إلى هدف ما فإن الشخص سيعمل الأعمال التي تقربه من تحقيق ذلك الهدف، وسينقطع عن غيرها.

المطلب الثالث: أثر القصد في المشي على السلوكيات القولية

- القصد في المشي يؤثر على السلوكيات القولية ولكن في الغالب يكون التأثير على الناظرين لا على الفاعلين، ومن ذلك:
- 1- إذا أثار الإسراع فيهم الخوف فإنهم سيكثر بينهم الكلام وتبادل التوقعات ونشر الشائعات وغيرها.
 - 2- وإذا أثار فيهم الشك والريبة فإنهم قد يقدحون في ذلك المسرع ويتهمونه بالسنتهم دون بينة ولا برهان، ويختلقون حوله القصص والحكايات، وقد يوبخونه ويغلظون له القول ويؤذونه إيذاءً عظيماً، وقد يُنقروا عنه الناس.
 - 3- وأما الإبطاء فقد يجعلهم ينتقدونه انتقادات سواء كانت هدامة أو بناءة، وقد يسخرون منه وينبذونه بألقاب سيئة بما يتناسب مع بُطئه - في نظرهم -.
 - 4- وأما التواضع ولين الجانب فإنه سيحرك ألسنتهم بالمدح والشكر والثناء، وسيحرك ألسنة آخرين باتهام الشخص بأنه مُغفل وساذج وأخرق.

المبحث الثاني: غض الصوت وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية

خَتَمَ لِقْمَانُ وَصَايَاهُ بِأَمْرِ وَلَدِهِ أَنْ يَغْضُ صَوْتَهُ وَيَخْفِضَهُ وَلَا يَرْفَعَهُ عَلَى النَّاسِ اعْتِدَاءً وَتَهْجُمًا وَتَسْلُطًا وَتَعَالِيًا؛ لِأَنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ صَوْتُ الْحَمِيرِ الْمَعْرُوفَةِ بِأَصْوَاتِهَا الْمُزْتَفِعَةِ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ لِقْمَانٍ: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، فَلَا يُبَالِغُ كَمَا قَالَ قُطُبُ الْأُئِمَّةِ إِلَّا لِعَرَضٍ صَحِيحٍ، وَمِنْهُ الْأَذَانُ وَالْإِنْدَارُ مِنَ الْعَدُوِّ، وَيُظْهَرُ أَنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي الْجَهْرِ تُشَوِّهُ الْوَجْهَ فَيَذْهَبُ بِهَاؤُهُ¹، وَغَضُّ الصَّوْتِ أَوْفَرُ لِلْمُتَكَلِّمِ وَأَبْسَطُ لِنَفْسِ السَّامِعِ وَفَهْمِهِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ²، وَقَدْ تَحْتَمِلُ الْآيَةُ النَّهْيَ عَنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ وَعَنِ الْقَوْلِ السَّيِّئِ الْبَدِيءِ لَوْلَا التَّعْلِيلُ الَّذِي فِيهَا.

قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي³: [وَفِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

الأولى: هَلْ لِلأَمْرِ بِالْغَضِّ مِنَ الصَّوْتِ مُنَاسَبَةٌ مَعَ الْأَمْرِ بِالْقَصْدِ فِي الْمَشْيِ؟

فَنَقُولُ: نَعَمْ سَوَاءً عَلِمْنَاهَا نَحْنُ أَوْ لَمْ نَعْلَمْنَاهَا وَفِي كَلَامِ اللَّهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَا يَحْصُرُهُ حَدٌّ وَلَا يُصِيبُهُ عَدٌّ، وَلَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ، وَالَّذِي يَظْهَرُ وَجُوهٌ:

الأول: هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا كَانَ شَرِيفًا تَكُونُ مَطَالِبُهُ شَرِيفَةً فَيَكُونُ فَوَاتِهَا خَطَرًا، فَأَقْدَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى تَحْصِيلِهَا بِالْمَشْيِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ إِدْرَاكِ مَقْصُودِهِ يُنَادِي مَطْلُوبَهُ فَيَقِفُ لَهُ أَوْ يَأْتِيهِ مَشْيًا إِلَيْهِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْ إِبْلَاحِ كَلَامِهِ إِلَيْهِ وَبَعْضُ الْحَيَوَانَاتِ يُشَارِكُ الْإِنْسَانَ فِي تَحْصِيلِ

⁽¹⁾ اطفئش، تيسير التفسير، ج 11، ص 185

⁽²⁾ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 4، ص 351

⁽³⁾ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 25، ص 122-123، بتصرف

الْمَطْلُوبِ بِالصَّوْتِ كَمَا أَنَّ الْعَنَمَ تَطْلُبُ السَّخْلَةَ وَالْبَقَرَةَ الْعِجْلَ وَالنَّاقَةَ الْفَصِيلَ بِالثَّغَاءِ وَالْخُورِ
وَالرُّغَاءِ

وَلَكِنْ لَا تَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِهَا، وَالْإِنْسَانُ يُمَيِّزُ الْبَعْضَ عَنِ الْبَعْضِ فَإِذَا كَانَ الْمَشْيُ وَالصَّوْتُ
مُقْضِيَيْنِ إِلَى مَقْصُودٍ وَاحِدٍ لَمَّا أَرَشَدَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا أَرَشَدَهُ إِلَى الْآخَرِ.

الثَّانِي: هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: ... بَقِيَ الْأَمْرَانِ فَقَالَ: وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ
مِنْ صَوْتِكَ إِشَارَةً إِلَى التَّوَسُّطِ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ.

الثَّلَاثُ: هُوَ أَنَّ لِقَمَانَ أَرَادَ إِرْشَادَ ابْنِهِ إِلَى السَّدَادِ فِي الْأَوْصَافِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَوْصَافِ الَّتِي هِيَ
لِلْمَلِكِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى مَرْتَبَةٍ مِنْهُ، وَالْأَوْصَافِ الَّتِي لِلْحَيَوَانِ الَّذِي هُوَ أَدْنَى مَرْتَبَةٍ مِنْهُ، **فَقَوْلُهُ:**
{وَأُمِرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ} إِشَارَةٌ إِلَى الْمَكَارِمِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْإِنْسَانِ، فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يَأْمُرُ
مَلَكًا آخَرَ بِشَيْءٍ وَلَا يَنْهَاهُ عَنْ شَيْءٍ، **وَقَوْلُهُ:** **{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}**
الَّذِي هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ التَّكَبُّرِ وَالتَّبَخُّرِ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَكَارِمِ الَّتِي هِيَ صِفَةُ الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّ عَدَمَ
التَّكَبُّرِ وَالتَّبَخُّرِ صِفَتُهُمْ. **وَقَوْلُهُ:** **{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ}** إِشَارَةٌ إِلَى الْمَكَارِمِ
الَّتِي هِيَ صِفَةُ الْحَيَوَانِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: **{إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}** وَفِيهِ مَسَائِلُ:

السَّأَلَةُ الْأُولَى: لِمَ ذَكَرَ الْمَانِعَ مَنْ رَفَعَ الصَّوْتَ وَلَمْ يُذَكِّرِ الْمَانِعَ مِنْ سُرْعَةِ الْمَشْيِ؟

نَقُولُ: أَمَّا عَلَى قَوْلِنَا إِنَّ الْمَشْيَ وَالصَّوْتَ كِلَاهُمَا مُوَصَّلَانِ إِلَى شَخْصٍ مَطْلُوبٍ إِنْ أَدْرَكَهُ بِالْمَشْيِ
إِلَيْهِ فَذَاكَ، وَإِلَّا فَيُوقِفُهُ بِالنِّدَاءِ، فَنَقُولُ: رَفَعَ الصَّوْتَ يُؤْذِي السَّامِعَ وَيَقْرَعُ الصَّمَاخَ بِقُوَّةٍ، وَرُبَّمَا

يَخْرُقُ الْغِشَاءَ الَّذِي دَاخَلَ الْأُذُنَ، وَأَمَّا السَّرْعَةُ فِي الْمَشْيِ فَلَا تُؤْذِي أَوْ إِنْ كَانَتْ تُؤْذِي فَلَا تُؤْذِي غَيْرَ مَنْ فِي طَرِيقِهِ، وَالصَّوْتُ يَبْلُغُ مَنْ عَلَى الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ، وَلِأَنَّ الْمَشْيَ يُؤْذِي آلَةَ الْمَشْيِ وَالصَّوْتُ يُؤْذِي آلَةَ السَّمْعِ وَآلَةَ السَّمْعِ عَلَى بَابِ الْقَلْبِ فَإِنَّ الْكَلَامَ يَنْتَقِلُ مِنَ السَّمْعِ إِلَى الْقَلْبِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَشْيُ... إلخ].

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: [وَهَذِهِ الْآيَةُ أَدَبٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَرْكِ الصِّيَاحِ فِي وُجُوهِ النَّاسِ تَهَاوُنًا بِهِمْ، أَوْ بِتَرْكِ الصِّيَاحِ جُمْلَةً، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَفْخَرُ بِجَهَارَةِ الصَّوْتِ الْجَهْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَشَدَّ صَوْتًا كَانَ أَعَزَّ، وَمَنْ كَانَ أَخْفَضَ كَانَ أَدَلَّ، فَنَهَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ هَذِهِ الْخُلُقِ الْجَاهِلِيَّةِ بِقَوْلِهِ: {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}، أَيُّ: لَوْ أَنَّ شَيْئًا يُهَابُ لَصَوْتَهُ لَكَانَ الْحِمَارُ، فَجَعَلَهُمْ فِي الْمِثْلِ سَوَاءً]¹.

المطلب الأول: أثر غرض الصوت على السلوكيات القلبية

غرض الصوت يؤثر على قلب صاحبه وعلى قلوب من حوله، ومن آثاره على قلب صاحبه أنه:

- 1- يكسو القلب حُلَّ الرأفة والرحمة والمودة والسكينة.
 - 2- يجعله يستحضر احترام الآخرين وإعلاء قدرهم وعدم انتقاصهم واحتقارهم.
- ومن آثاره على قلوب السامعين أنه:
- 3- يجعل قلوبهم تتحرك باحترام هذا الشخص وحبه وتقديره وإجلاله، أما لو كان العكس فإنه لن يكون من قلوبهم تجاهه سوى السخط عليه وعدم الشعور بالارتياح له وعدم تقديره وإجلاله.
 - 4- يجعلهم يستمتعون بحديثه ويستلذونه ويتشوقون لقادم الكلام منه، والعكس يحدث عند بعضهم إن لم يغض صوته.

⁽¹⁾ محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2: 1384هـ - 1964م، ج14، ص72.

5- يساعد في تقبل النصيحة والإرشاد والتوجيه، أما عدم غضه فإنه في الغالب مُنْقَرَّ عن قبول ذلك.

6- قد يظن بعضهم أن صاحب الصوت المرتفع المزعج يهاجمهم ويزجرهم ويقلل من احترامهم.

المطلب الثاني: أثر غض الصوت على السلوكيات الفعلية

قد يؤثر غض الصوت على أفعال الناس المستمعين، ومن آثاره:

1- يجعلهم يقبلون على غضيض الصوت ويستمعون له ويعاملونه بالحسنى، أما إن كان من أصحاب الصراخ والصياح فإنهم يعرضون عنه ولا يلتفون إليه ولا يكثرثون له، وقد يعامله بعضهم بالسوء.

2- قد يقتدي به عدد من الناس متأثرين به مما سيسهم في انتشار هذا الخلق الحسن في المجتمع.

المطلب الثالث: أثر غض الصوت على السلوكيات القولية

من الآثار التي سينتجها غض الصوت في ألسنة المستمعين:

1- إن كان هذا المتكلم صاحب رسالة فإن بعض الناس سينصحون الآخرين بالاستماع له والإقبال عليه والاستفادة منه؛ إذ لا شك أن كثيرا من الناس تركيزهم على أسلوب الطرح أكثر من الكلام المطروح.

2- مدح الشخص الذي يغض صوته والثناء عليه وإطراؤه والاحتفاء به، وذم صاحب الصوت القوي الذي يسبب إزعاجا لبعض الناس.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث تبينت للباحث نتائج عدة، منها:

- 1- لم يتفق المؤرخون والنسابة وبقية العلماء على نسب لقمان، ولكن أكثرهم يعتمد النسب الذي ذكره ابن إسحاق.
- 2- يرى جمهور العلماء أن لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا لعدم توفر الأدلة الصحيحة فضلا عن القاطعة بنبوته، ويرى الباحث أن الأولى الوقوف عن الخوض في شأن نبوة لقمان.
- 3- أثرت عن لقمان ونُسبت إليه حكم كثيرة في غير القرآن تناقلتها الأجيال عبر آلاف السنين، وهي حكم مفيدة تمت ترجمتها من لغات إلى لغات إلى أن وصل إلينا بعضها، وعدد منها مشكوك في نسبته إليه.
- 4- جاء ذكر الموعظة في مواضع متفرقة من القرآن، ووعظ الله عباده وأمر الأنبياء بوعظ أقوامهم وأخبرنا بأنهم وعظوا أقوامهم.
- 5- الموعظة لها أثر كبير على قلب الإنسان وفكره وأعماله وأقواله وسائر أحواله لا سيما إذا انتهج الواعظ أسلوبا مناسبا في الوعظ.
- 6- اختار لقمان جانبين من جوانب العقيدة ليغرسهما في ابنه، وهما: التوحيد ومراقبة الله، وهذان الجانبان هما الركنان الأعظمَان لكل جوانب العقيدة وبهما يشق الإنسان طريق النجاة والنجاح لما لهما من آثار مرضية.
- 7- اختار لقمان ثلاثة جوانب في العبادة وهي: إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، وهي التي تضمن صلاح الأفراد والمجتمعات وتدعم ترابط المجتمع وتعاونه على الخير وتحطم قوى الشر وتضعفها وتجعل الإنسان صامدا أمام التيارات

الجارفة، وهذه الثلاث هي التي تحافظ على إيمان الشخص وتثبت فيه قوة الثبات على الدين والمبادئ.

8- اختار لقمان في جانب الأخلاق التنفير عن تصغير الخد والمشي في الأرض مرحا، وهما صورتان من صور الكبر، ودعا ابنه إلى القصد في المشي وغيض الصوت وهما صورتان من صور التواضع والوقار والسكينة ولين الجانب، فما نهاه عنه ينتج عنه التخاصم والتباغض والتدابير والتنازع والتشاجر والتناحر، وما دعاه إليه ينتج عنه الأمن والسلام والمحبة والوئام والاحترام والانسجام.

9- يرى الباحث أن مواعظ لقمان لابنه التي كان يهدف منها إلى تربيته يجب الاهتمام بها ودراستها وتدريسها وتطبيقها وتنشئة الأبناء منذ الصغر عليها؛ إذ هذه المواعظ هي التي تُخرج لنا مجتمعا تقيا نكيا رصيا قويا.

10- استخدم لقمان أسلوب التعليل والتفسير بعد أوامره ونواهيه لابنه، فحين نهاه عن الشرك علل نهيهِ قائلا: إن الشرك لظلم عظيم، وحين كلمه عن مراقبة الله وضع له بقوله: إن الله لطيف خبير، وحين أمره بإقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال له: إن ذلك من عزم الأمور، وحين نهاه عن تصغير الخد والمشي مرحا بين له سبب النهي قائلا: إن الله لا يحب كل مختال فخور، وحين أمره بغض الصوت بين له أن أنكر الأصوات لصوت الحمير. وهكذا ينبغي أن يكون المربي، لا يكتفي بالأوامر والنواهي وإنما يعلل أسبابها وحكمتها، فذلك أدعى إلى تقبل السامع وطاعته إياه والعمل بما دعاه إليه والثبات عليه والانتفاء عما نهاه عنه والهروب منه.

11- جميع مواعظ لقمان لابنه مما هو في العقيدة والعبادات والأخلاق نزلت به جميع الشرائع السماوية.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم بن عمر بيّوض (1401هـ)، في رحاب القرآن، تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، جمعية التراث، غرداية.
- أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ)، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط1، 1344هـ.
- أحمد بن علي التميمي (ت:307هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404هـ - 1984م.
- أحمد بن علي العسقلاني (ت:852هـ)، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1406هـ - 1986م.
- أحمد بن محمد الإسكندري (ت:683هـ)، الانتصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال، حاشية في كتاب الكشف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- أحمد بن محمد الشيباني (ت:241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1420هـ - 1999م.
- أحمد بن محمد الفاسي (ت:1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1423هـ/2002م.
- أحمد بن محمد الفيومي (ت:770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
- أحمد بن مصطفى المراغي (ت:1371هـ)، تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365هـ - 1946م.
- إسماعيل بن عمر القرشي (ت:774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.
- أمحمد بن يوسف أطفيش (ت:1332هـ)، تيسير التفسير، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1439هـ - 2018م.
- الحسين بن مسعود البغوي (ت:516هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.
- الحسين بن مسعود البغوي (ت:516هـ)، معالم التنزيل، دار ابن حزم، ط2، 1435هـ/2014م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:173هـ)، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الربيع بن حبيب الفراهيدي (ت:179هـ)، الجامع الصحيح، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، تعليق: د. سالم البوسعيد، ط1، 1435هـ - 2014م.

- سليمان بن أحمد الطبراني (ت:360هـ)، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م.
- سليمان بن الأشعث السجستاني (ت:275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- سليمان بن الأشعث السجستاني (ت:275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- سيد قطب (ت:1386هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط37، 1429هـ - 2008م.
- صديق بن حسن القنوجي (ت:1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1412هـ - 1992م.
- عبد الجليل أحمد علي، تبصير القلب السليم بوصايا لقمان الحكيم، دار الإيمان، الإسكندرية.
- عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت:541هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413هـ. 1993م.
- عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت:508هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر السالمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م.
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي (1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ - 2000م.
- عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت:465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3.
- عبد الكريم يونس الخطيب (1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.
- عبد الله بن حميد السالمي (ت:1332هـ)، معارج الآمال، تحقيق: إبراهيم بن علي بولروح وآخرون، مكتبة الإمام السالمي، بديعة، سلطنة عمان، 2010م.
- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت:255هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ.
- عبد الله بن عمر البيضاوي (ت:685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت.
- عبد الله بن محمد الكندي (ت:363هـ)، جامع ابن بركة، تحقيق: أ.د مصطفى بن صالح باجو، وزارة التراث والثقافة العمانية، مسقط.
- علي بن حسام الدين البرهانفوري (ت:975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م.
- علي بن محمد الجرجاني (ت:816هـ)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1405هـ.
- عمر بن علي الدمشقي (ت:880هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
- عياض بن موسى اليحصبي (ت:544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، 1409هـ - 1988م.

- مالك بن أنس الأصبحي (ت: 179هـ)، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- محمد الطاهر بن عاشور (1393هـ)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.
- محمد بن أبي الفتح البجلي (709هـ)، المطلع على أبواب المقنع، تحقيق: محمد بشير الأدلي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ - 1981م.
- محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ - 2003م.
- محمد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2: 1384هـ - 1964م.
- محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير/اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ - 1987م.
- محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- محمد بن عبد الله الأندلسي (ت: 543هـ)، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.
- محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: 405هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.
- محمد بن علي الشوكاني (ت: 1255هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.
- محمد بن عمر الرازي (ت: 605هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- محمد بن عمر الرازي (ت: 605هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421هـ - 2000م.
- محمد بن عيسى السلمي (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- محمد بن محمد الغزالي (ت: 505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- محمد بن محمد الماتريدي (ت: 333هـ)، تفسير الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ - 2005م.
- محمد بن نصر المروزي (ت: 294هـ)، تَعْظِيم قدر الصلاة، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1406هـ.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 816هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1435هـ - 2014م.
- محمد متولي الشعراوي (ت: 1419هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
- محمود الألوسي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

- محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، <http://www.alwarraq.com>
- مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت.
- منذر بن خميس الشعيبي، أثر الإيمان على سلوك الإنسان، طبعة ذاتية منشورة، ط1.
- ناصر بن سالم الرواحي (ت: 1340هـ)، نثار الجواهر في علم الشرع الأزهر، مكتبة مسقط، ط4، 1437هـ.

الفهرس

- مقدمة.....4
- الفصل الأول: ترجمة لقمان.....7
- المبحث الأول: نسب لقمان.....8
- المبحث الثاني: ذكر الخلاف في كون لقمان نبيا أو غير ذلك.....9
- المبحث الثالث: ذكر حكم أثرت عنه في غير القرآن.....13
- الفصل الثاني: مفهوم الموعظة وأثرها على الأفراد ومواقع ذكرها في القرآن والسنة.....18
- المبحث الأول: مفهوم الموعظة.....19
- المبحث الثاني: المواضع التي ورد فيها ذكر الموعظة في القرآن والسنة.....20
- المبحث الثالث: أثر الموعظة على الموعوظ.....23
- الفصل الثالث: جانب العقيدة في مواعظ لقمان لابنه وأثره على السلوكيات القلبية والفعالية والقولية.....25
- المبحث الأول: عقيدة التوحيد لله وأثرها على السلوكيات القلبية والقولية والفعالية.....26
- المطلب الأول: أثر عقيدة التوحيد على السلوكيات القلبية.....28
- المطلب الثاني: أثر عقيدة التوحيد على السلوكيات الفعالية.....31
- المطلب الثالث: أثر عقيدة التوحيد على السلوكيات القولية.....34
- المبحث الثاني: عقيدة مراقبة الله وأثرها على السلوكيات القلبية والفعالية والقولية.....38
- المطلب الأول: أثر عقيدة مراقبة الله على السلوكيات القلبية.....39
- المطلب الثاني: أثر عقيدة مراقبة الله على السلوكيات الفعالية.....42
- المطلب الثالث: أثر عقيدة مراقبة الله على السلوكيات القولية.....44
- الفصل الرابع: جانب العبادات في مواعظ لقمان لابنه وأثره على السلوكيات القلبية والفعالية والقولية.....47

- المبحث الأول: إقام الصلاة وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية.....48
- المطلب الأول: أثر إقام الصلاة على السلوكيات القلبية.....55
- المطلب الثاني: أثر إقام الصلاة على السلوكيات الفعلية.....56
- المطلب الثالث: أثر إقام الصلاة على السلوكيات القولية.....57
- المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية57
- المطلب الأول: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السلوكيات القلبية.....59
- المطلب الثاني: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السلوكيات الفعلية.....60
- المطلب الثالث: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على السلوكيات القولية.....60
- المبحث الثالث: الصبر على المصائب وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية.....61
- المطلب الأول: أثر الصبر على المصائب على السلوكيات القلبية.....64
- المطلب الثاني: أثر الصبر على المصائب على السلوكيات الفعلية.....64
- المطلب الثالث: أثر الصبر على المصائب على السلوكيات القولية.....65
- الفصل الخامس: جانب الأخلاق في مواعظ لقمان لابنه وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية.....68
- المبحث الأول: القصد في المشي وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية.....69
- المطلب الأول: أثر القصد في المشي على السلوكيات القلبية.....72
- المطلب الثاني: أثر القصد في المشي على السلوكيات الفعلية.....73
- المطلب الثالث: أثر القصد في المشي على السلوكيات القولية.....74
- المبحث الثاني: غض الصوت وأثره على السلوكيات القلبية والفعلية والقولية.....75
- المطلب الأول: أثر غض الصوت على السلوكيات القلبية.....77
- المطلب الثاني: أثر غض الصوت على السلوكيات الفعلية.....78
- المطلب الثالث: أثر غض الصوت على السلوكيات القولية.....78
- خاتمة.....79
- قائمة المصادر والمراجع.....81

85.....الفهرس •